القرآن
منهاج حياتنا

محمود حسن حجازي

الطبعة الأولى

2020-1442

كل الحقوق محفوظة

القرآن منهاج حياتنا

محمود حسن حجازي

الطبعة الأولى

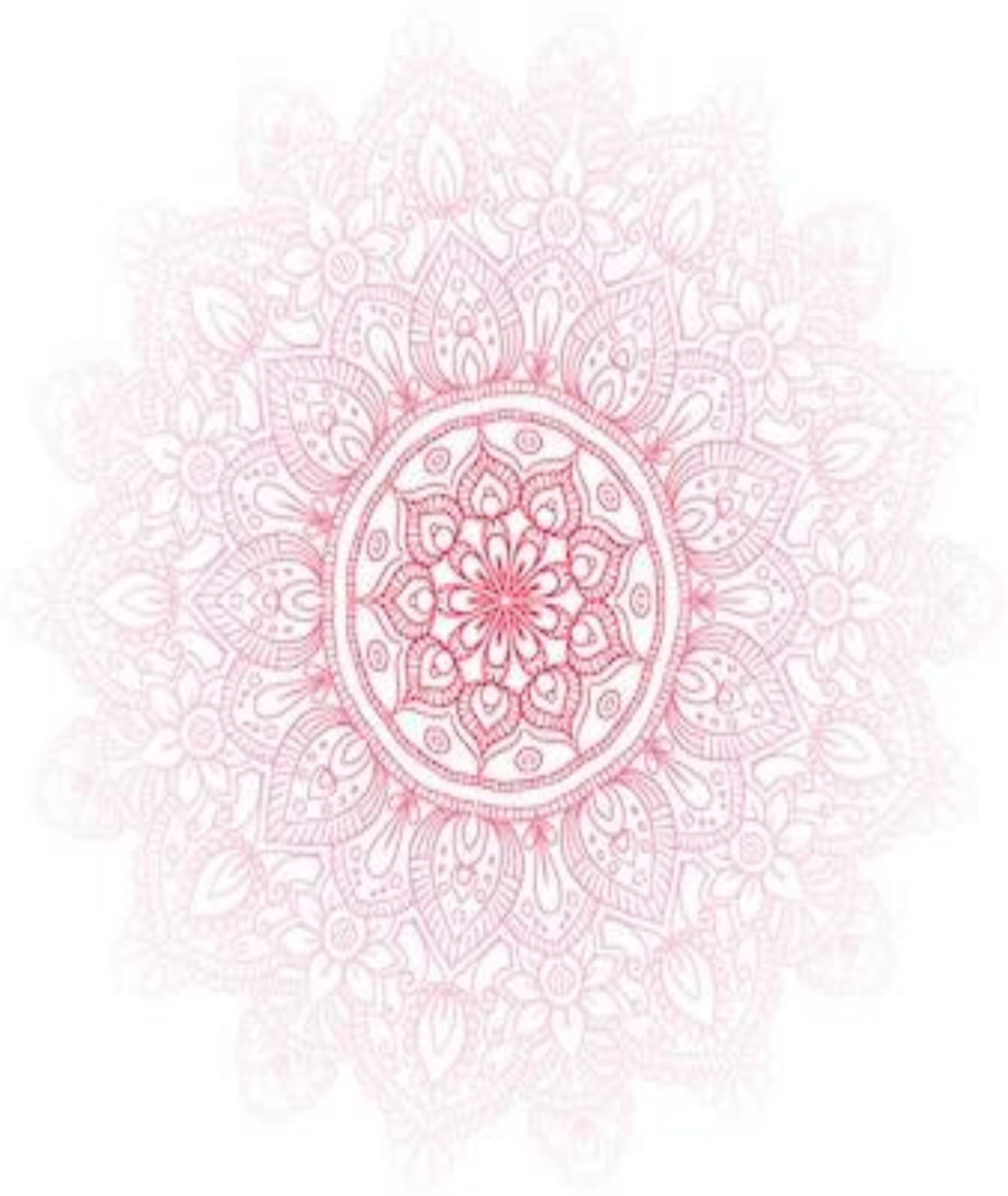

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـداء

إهـداء إلـى أهـل الـقـرآن الذين يسهرون الليل

لتلاوة القرآن وتدبره وحفظه لهم مني كل تحية وسلام

القرآن منهاج حياتنا

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

المائدة: ٤٨

البداية

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله..

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ النساء: ١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ الأحزاب: ٧٠ – ٧١

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار..

القرآن هو اسم لكلام الله ﷻ المنزّل على عبده ورسوله محمد ﷺ المتعبد بتلاوته، المعجز بكل سورة منه، وهو اسم لكتاب الله ﷻ خاصة، ولا يسمى به شيء من

سائر الكتب، وقد تكلم به حقيقة لا مجازًا، من باب إضافة الكلام إلى قائله، وهو الذي أنزله على رسوله ﷺ ليكون للعالمين نذيرًا، فإضافته إلى محمد ﷺ إضافة تبليغ وأداء، لا إنشاء وابتداء والمشكك في هذه الحقيقة ليس أمامه إلا أن يضيف هذا القرآن إلى النبي ﷺ نفسه، أو إلى مخلوق علّمه إياه.

أما الاحتمال الأول: وهو كون القرآن من عند محمد ﷺ وذلك لفرط ذكائه، ونفاذ بصيرته، وشفافية روحه، مما يجعله ينشئ -بزعمهم- مثل هذا الكلام البديع الرصين، فمردود بأدلة كثيرة، منها:

1. أن الرجل مهما بلغ ذكاؤه وصفت سريرته أنى له أن يأتي بذكر لأحوال الأمم الغابرة، ومسائل العقائد والشرائع، وما في الجنة والنار من النعيم والعذاب، ثم يذكر لنا ما سيقع في قابل الأيام والدهور، كل ذلك على نحو من التفصيل والتدقيق، مع تمام السبك، وقوة الأسلوب، ومن غير تضاد ولا اختلاف، مع العلم بأن النبي ﷺ لم يكن يتلو كتاباً، ولم يخالط أهل التاريخ.

2. التحدي الصارم الذي واجه به القرآن الكفار، وأنهم لم ولن يأتوا بمثل شيء من سوره، يبعد عن الرسول ﷺ – مع ما عرف عنه من الحصافة والحكمة – أن يغامر في الدخول فيه مع أئمة البيان وفحول الفصاحة، وهو يرجو لرسالته أن تنتصر ولدعوته أن تنتشر.

3. هذا القرآن تضمن بعضاً لمواضع العتاب لمحمد ﷺ: في مواقف اجتهد فيها لكنه جانب فيها الصواب، أو الأصوب، فنزل القرآن مبيناً وجه الحق ومخطئاً للنبي ﷺ، فيكف يجمل بحكيم عاقل يخطئ نفسه وينشر ذلك في الناس، ولو كان يملك أدنى

تصرف في هذا القرآن لأخفى مثل هذه المواضيع، وسترها عن الناس وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) ﴾ الحاقة: ٤٤ - ٤٧

4. تصدير كثير من الآيات في القرآن بكلمة "قل" بل قد تكررت هذه الكلمة أكثر من ثلاثمائة مرة، وفي توجيه الخطاب لمحمد ﷺ وتعليمه ما ينبغي أن يقول، فهو لا ينطق عن هواه، بل يتبع ما يوحى إليه، فهو مخاطب لا متكلم، حاكٍ ما يسمعه لا معبر عن شيء يجول في نفسه.

فالقرآن هو كتاب الله عز وجل المعجز عند المسلمين، يعظمونه ويؤمنون أنه كلام الله عز وجل وأنه قد أنزل على النبي محمد ﷺ للبيان والإعجاز، وأنه محفوظ في الصدور والسطور من كل مس أو تحريف، وأنه منقول بالتواتر، وأنه نزل بلهجة قريش وهذيل وغيرهم، وهو المتعبد بتلاوته، وهو آخر الكتب السماوية بعد صحف إبراهيم عليه السلام والزبور والتوراة والإنجيل.

يحتوي القرآن على مائة وأربعة عشر سورة تصنف إلى مكّية ومدنية وفقًا لمكان وزمان نزول الوحي بها، ويؤمن المسلمون أن القرآن أنزله الله سبحانه وتعالى على لسان الملَك جبريل عليه السلام إلى النبي محمد ﷺ على مدى ثلاثة وعشرين سنة تقريبًا، بعد أن بلغ النبي محمد ﷺ سن الأربعين، وحتى وفاته عام 11 هـ/632م، كما يؤمن المسلمون بأن القرآن حُفظ بدقة على يد الصحابة رضي الله عنهم، بعد أن نزل الوحي على النبي محمد ﷺ فحفظه وقرأه على صحابته رضي الله عنهم، وأن آياته محكمات مفصلات، وأنه يخاطب

الأجيال كافة في كل القرون، ويتضمن كل المناسبات ويحيط بكل الأحوال.

فمن القلب ينبض حبه ومن الروح تعلو آياته ومن الوجدان يتردد صداه إنه القرآن الكريم كتاب الله ﷻ الخالد ورسالته السماوية الخالدة وكلام الله ﷻ المعجز الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ.

يشرق القرآن الكريم بنوره على دروب البشرية ويرشدهم إلى طريق الحق والعدل ويخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان والمعرفة، ويتحدى القرآن الكريم بفصاحته وبلاغته وأسلوبه العجيب كل فصحاء العرب ويثبت أنه كلام الله ﷻ المعجز الذي لا يمكن لأي بشر أن ينزل مثله.

ويعد القرآن الكريم كنزاً لا ينضب من المعارف والعلوم فهو يحيط بجميع جوانب الحياة من العقيدة والعبادة إلى الأخلاق والمعاملات ومن السياسة والاقتصاد إلى العلم والفلسفة، فتلامس آيات القرآن الكريم القلوب الواعية وتسكنها الطمأنينة والسكينة وتداوي جراحها وتطهرها من الرذائل والصفات السيئة، كما وينير القرآن الكريم العقول ويفتحها على المعرفة والحكمة ويعلمها التفكير السليم واتخاذ القرارات الصائبة، وهو حبلاً متيناً يربط المسلم بربه ﷻ ويقربه منه ويشعره بالأمان والسعادة في الدنيا والآخرة.

ولم ينزل القرآن الكريم لشعب معين أو أمة محددة بل هو هدى للبشرية جمعاء ينير دروبهم ويرشدهم إلى طريق الحق والعدل، فيجب على كل مسلم أن يحافظ على القرآن الكريم وأن يتدبر في آياته وأن يطبق تعاليمه في حياته ليفوز بالأجر والثواب من الله ﷻ في الدنيا والآخرة، فهو خير كتاب نزل على الأرض وهو نور وهدى

للبشرية جمعاء فليكن هو دستور حياتنا ونبراس طريقنا ومنبع سعادتنا في الدنيا والآخرة.

فالقرآن هو التجارة الرابحة التي لن تخسر أبداً في الدنيا وفي الآخرة الأجر والفضل من الكريم الوهاب ﷻ، ويكفي أهل القرآن فخراً وشرفاً أنه خير الناس قال ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[1]

بل إن القرآن يشفع عن لأصحابه يوم القيامة قال ﷺ: "اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه"[2]

وفضل القرآن ومكانته عظيمة يستشعرها المؤمن والاجتماع عليه تغشاه الرحمة وتتنزل السكينة وتحضره الملائكة، قال ﷺ: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"[3]

القرآن الكريم يعتبر من أعظم المعجزات الإلهية التي أنزلها الله ﷻ على النبي محمد ﷺ، حيث يشكل مصدر إلهام لا محدود للمسلمين في جميع أنحاء العالم، ويحتوي على هدايات وتعاليم تغطي جوانب الحياة المختلفة، من الأخلاق والعدالة إلى العلم والكون، ويظهر فيه الإعجاز اللغوي والعلمي الذي يثير الدهشة والتأمل، وهذا يجعل من دراسته وتأمل آياته تجربة غنية ومفيدة للغاية، وتزيد هذه الدراسة المعرفة وتقوي الروابط الروحية والفكرية مع الدين الإسلامي.

[1] صحيح البخاري (6/ 192) حديث رقم (5027)
2 صحيح مسلم (1/ 553) حديث رقم (804)
3 صحيح مسلم (4/ 2074) حديث رقم (2699)

فالقرآن العظيم له منزلة عظيمة جداً، فهو كتاب هداية للناس، وفيه سعادتهم، وله العديد من الأوصاف التي وصفه الله ﷻ به، بالإضافة إلى أنّه ﷻ أقسم به؛ دليلاً على عظم شأنه.

قرآننا هو دليلنا ومنهجنا، أرسل نورًا وهدى للبشر، وأنزل في ليلة مباركة هي ليلة القدر، وكل الرجاء أن يكون نور القرآن في حياة المسلمين وبلادهم حتى تبقى البركة ويبقى الخير في بلاد المسلمين، وتبقى عزتهم وقوّتهم وكرامتهم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى وسلم على نبينا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين

كتبه

محمود حسن حجازي

أبو حازم

فلسطين – غزة

2024 - 1446

تعريف القرآن والفرق بينه وبين الأحاديث القدسية

أولاً: تعريف القرآن لغةً:

لفظ القرآن مشتق من مادّة الفعل قرأ بمعنى القرء؛ أي الضم والجمع، ومنه القول: قرأت الشيء؛ فهو قرآن؛ أي ألّفت بينه، وجمعت بعضه إلى بعض، وكانت العرب تقول: "ما قرأت هذه الناقة سلى قط"، والمقصود من قولهم أنّ هذه الناقة لم تضمّ في رحمها جنيناً أو ولداً أبداً، **ويقول الإمام أبو عبيدة**: "أُطلق اسم القرآن على كتاب الله ﷻ؛ لأنّه يؤلّف بين السور، ويضمّ بعضها إلى بعض"[1]

وقد بيَّن الله ﷻ ذلك في كتابه؛ فقال: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ القيامة: ١٧؛ أي ضم بعضه إلى بعض، وقال ﷻ في آية أخرى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٩٨﴾ ﴾ النحل: ٩٨، أي إذا رتّلت بعض آياته في إثر بعض؛ حتى تأتلف وتجتمع آياته بعضها إلى بعض، وهو بذلك مماثل لمعنى الضمّ، والتأليف.

ويقول ابن الأثير: "وسمي القرآن قرآناً؛ لأنه جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران"[2]

قال ابن منظور: "معنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآناً؛ لأنه يجمع السور، فيضمها"[3]

1 تهذيب الأسماء واللغات للنووي (4/ 84)
2 النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (4/ 30)
3 لسان العرب لابن منظور (1/ 128)

ثانياً: تعريف القرآن اصطلاحاً:

القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ المعجز بلفظه، المنزل على نبيّه محمد ﷺ بواسطة الوحي، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمنتهي بسورة الناس، والمتحدَّى بأقصر سورة منه، المكتوب في المصاحف.

❖ معنى التعريف:

القول بأنّه كلام الله ﷻ: تمييزاً له عن سائر كلام المخلوقين من الإنس، والجن، والملائكة.

القول بأنه المنزل: قيد يخرج به الكلام الذي اختصّ الله ﷻ بعلمه، أو أوحاه إلى ملائكته الكرام ليعملوا به، وليس لينقلوه إلى أحد من الإنس، وذلك أنّ الله ﷻ أنزل بعض كلامه على خلقه، واستأثر بالبعض الآخر، ولم يطلع عليه أحد، يقول ﷻ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ الكهف: ١٠٩، وقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ لقمان: ٢٧

القول بأنّه منزل على نبينا محمد ﷺ: خرجت به الكتب السماوية التي نزلت على غيره من الأنبياء عليهم السلام؛ كالتوراة المنزلة على نبيّ الله موسى عليه السلام.

القول بأنّه المعجز: كان للدلالة على أنّه المعجزة الخالدة التي نصر الله ﷻ بها نبيّه محمد ﷺ، وتعرّف المعجزة بأنّها عمل خارقٌ للعادة، تختصّ بأفعال الله ﷻ، ويوقعه ﷻ على يد نبيٍّ من أنبيائه؛ ليكون برهان صدق على دعوته ورسالته.

المراد بالمنقول إلينا بالتواتر: فذلك لبيان أنّ القرآن الكريم نقل إلينا عن طريق جبريل عليه السلام، ثمّ عن طريق النبي ﷺ، ثم عن الصحابة رضي الله عنهم، حتّى جمع على عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه بأمر منه، ثم جمع في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه في مصحف واحد، وبلغة ولهجة واحدة.

المقصود بالتواتر: أي نقله جمع كثير لا يحصى عددهم عن مثلهم، واستحال عقلاً تواطؤهم واجتماعهم على الكذب، ويكون ذلك بصورة مستمرة، دائمة التواتر إلى يوم القيامة، ممّا يدلّ على اليقين الصادق، والعلم الجازم القطعيّ.

المتعبد بتلاوته: خرجت به الأحاديث القدسية، ونريد بالمتعبد بتلاوته أمرين:

الأول: أنه المقروء في الصلاة، والذي لا تصح الصلاة إلا به.

الثاني: أن الثواب على تلاوته لا يعادله ثواب، أي تلاوة لغيره، وليس ثواب لغير التعبد بتلاوة القرآن الكريم.

ثالثاً: سبب تسمية القرآن بهذا الاسم:

أُطلق على كتاب الله سبحانه وتعالى اسم القرآن؛ لأنّه يضم في ثناياه القصص والأخبار، والوعد والوعيد، والأوامر والنواهي، كما يجمع الآيات والسور بعضها إلى بعض، أول اسم أطلق على كتاب الله عزّ وجلّ القرآن، وهو أشهرها، وهو في أصل وضعه مرادف لمعنى القراءة، ثم تغيّر معناه المصدري ليصبح اسم علم لكتاب الله سبحانه وتعالى المنزل على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ.

رابعاً: الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي:

هناك فروق كثيرة ذكرها العلماء بين القرآن الكريم والحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه ﷻ وينسبه إليه، منها:

1. أن القرآن الكريم تحدى الله ﷻ الناس أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، أو بحديث مثله؛ فعجزوا. أما الحديث القدسي فلم يقع به التحدي والإعجاز.

2. أن القرآن الكريم منقول بطريق التواتر، فهو قطعي الثبوت كله؛ سوره وآياته، وجمله ومفرداته، وحروفه وحركاته وسكناته، أما الحديث القدسي فأغلبه أحاديث آحاد ظني الثبوت.

3. أن القرآن الكريم من عند الله ﷻ لفظاً ومعنى، أما الحديث القدسي فمعناه من الله ﷻ باتفاق العلماء، أما لفظه فاختلف فيه.

4. أن القرآن الكريم لا ينسب إلا إلى الله ﷻ، أما الحديث القدسي فينسب إلى الله ﷻ نسبة إنشاء، فيقال: قال الله ﷻ، ويروى مضافاً إلى رسول الله ﷺ نسبة إخبار، فيقال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ.

5. أن القرآن الكريم – على قول الجمهور– لا يجوز قراءته للجنب حتى يغتسل، بخلاف الأحاديث القدسية.

6. أن القرآن الكريم متعبد بتلاوته من جهة أن الصلاة لا تصح إلا بتلاوته دون الحديث القدسي، ومن جهة أن ثواب تلاوة القرآن ثواب عظيم، والحديث القدسي ليس في تلاوته الثواب الوارد لتلاوة القرآن الكريم.

7. أن القرآن لا تجوز قراءته بالمعنى بإجماع المسلمين، وأما الأحاديث القدسية فعلى الخلاف في جواز نقل الحديث النبوي بالمعنى، والأكثرون على جوازه.

8. أن القرآن الكريم لا يكون إلا بوحي جلي، وذلك بنزول جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ يقظة، فلم ينزل شيء من القرآن على الرسول ﷺ بالإلهام أو في المنام، أما الحديث القدسي فنزل بالوحي الجلي والخفي.

أما ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: "بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟! قال: أنزلت علي آنفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ الكوثر: ١ - ٣ "[1]؛ فهذه الإغفاءة ليست إغفاءة نوم، ولعلها الحال التي تأتيه عند الوحي؛ حيث يصيبه ﷺ ثقل في الجسم وتفصد العرق وشبه إغفاءة نوم، والله أعلم.

9. أن القرآن الكريم تسمى الجملة منه آية، والجملة من الآيات سورة، والأحاديث القدسية لا يسمى بعضها آية ولا سورة باتفاق.

10. أن القرآن الكريم يكفر من جحد شيئاً منه، أما الحديث القدسي فلا يكفر من جحد غير المتواتر منه.

11. أن القرآن الكريم يشرع الجمع بين الاستعاذة والبسملة عند تلاوته دون الحديث القدسي.

12. أن القرآن الكريم يكتب برسم خاص هو رسم المصحف، دون الحديث القدسي.

1 صحيح مسلم (1/ 300) حديث رقم (400)

13. أن القرآن الكريم محفوظ من الله سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩، والأحاديث القدسية بخلاف ذلك.

أهمية القرآن وفضله

أولاً: أهمية القرآن:

إن القرآن الكريم كتابٌ منزلٌ لهداية البشرية وإصلاح حياة الفرد والجماعة المسلمة في جميع مناحي الحياة، ويحظى بمنزلةٍ عظيمةٍ في نفوس المسلمين كونه كلام ربّ العالمين ﷻ، فإذا علم المسلم أنَّ قراءة القرآن سبباً في علو درجته عند ربّه ﷻ أقبل عليه إقبال المحبّ، تلاوةً وتعلّماً وتدبّراً، ويُذكر أنَّه لا يوجد في تاريخ البشرية كتاباً حُفظ وقُرئ كما القرآن، وتظهر مكانته في حياة المسلمين فيما يأتي:

1. القرآن الكريم من أبرز عوامل توحّد المسلمين، فقد أوجب الله ﷻ الاعتصام بالقرآن الكريم والرجوع إليه وإلى السنة النبوية عند الاختلاف، ممّا يشكّل وجهةً واحدة لكلّ المسلمين في السّعي لتحقيق مصالح الدين والدنيا، يقول ﷻ:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٣

2. القرآن حبل الله ﷻ المتين الموصل لطريق الحق المبين، يقول النبي ﷺ: "**ألا وإني تارك فيكم ثقلين: أحدهما كتاب الله ﷻ، هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة**"[1]

3. القرآن منهجُ تربيةٍ للمسلمين؛ فقد حملت مضامينه منهجاً يهدف إلى إيقاظ بواعث الخير في نفوس المسلمين، وتوجيه طاقاتهم توجيهاً سليماً في كافّة المجالات

1 صحيح مسلم (4/ 1874) حديث رقم (2408)

التعبّدية، والأخلاقية، والسياسية، والاقتصادية وغيرها، والقرآن إذ يتفرّد بكونه كتابٌ جامع لكلّ عناصر التربية؛ فإنّه يقدّمها بواقعية وشمول واتّزان.

4. القرآن مصدر الشريعة الإسلامية، حيث يُعدُّ بمثابة الدستور المنظّم لحياة الأمة المسلمة، وما استغنى به المسلمون في زمنٍ من الأزمان إلا وأغناهم الله ﷻ به عن كل شيء، وتجدر الإشارة إلى أنَّ الأُمور التي لم يرد بها نصٌ مباشرٌ في القرآن الكريم لم تكن نسياناً منه ﷻ، وإنَّما رحمةً منه بخلقه، وقد فتح الإسلام باب الاجتهاد في استنباط الأحكام لما يستجدّ في حياة النّاس من أمور استناداً للثوابت الشرعية، وبما لا يخالف مقاصد الشريعة الإسلامية.

5. القرآن منهاج الحياة للمسلمين والذي من شأنه أن يوجّه الفرد المسلم إلى طريق الحق القويم في علاقته مع الله ﷻ وعلاقته مع الناس ومع نفسه، فيعبد الله ﷻ ويطيعه، وينظر إلى الكون نظر المتأمّل المتفكر في عظمة الله الخالق ﷻ، ويتعامل مع الحياة الدنيا على أنَّها وسيلةً للحياة الآخرة، وليست غايةً في حدّ ذاتها، كما على المسلم أن يتَّبع منهج الله ﷻ في طلب الحق وتزكية نفسه، ويؤدّي حقوق غيره من الناس، ويدافع عن أمّته وينصح لها، أمَّا عن علاقته بغير المسلمين فقد بيّنها القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الممتحنة: ٨ ــ ٩

6. توجيه المسلمين إلى السنن الثابتة التي تستقيم بها الحياة على الأرض، فقد وعد الله ﷻ المؤمنين الذين يقيمون أمره في الأرض بالتمكين والاستخلاف والطمأنينة والبركة.

7. تضمّن القرآن الكريم تعريفاً للإنسان بذاته، وكشف عن تكريم الله ﷻ له، فقد سخَّر الله ﷻ الكون بأسره للإنسان، وفضَّله على كثيرٍ من مخلوقاته؛ فهو المخلوق الذي خلقه الله ﷻ بيده، وأسجد له الملائكة، وجعل له من النّعم ما لا يعدُّ ولا يُحصى، كما عرَّف القرآن الإنسان بالغاية من وجوده، والتي تتمثَّل بالعبادة وعمارة الأرض.

8. يوصف القرآن الكريم بأنّه كتاب هدايةٍ؛ فقد بيَّنتْ آياته طريق الحق وطريق الضلال مع مصير كل منهما، ومن هنا فقد تضمّن مجموعةً من التشريعات؛ تهدف إلى حماية المجتمع من الفتن، ومن ذلك أنّه نهى الفواحش والآثام، وغيرها.

9. القرآن الكريم زاخر بالمواعظ التي يتعلّم الإنسان من خلالها أخطاء غيره ويتجاوزها، وتجدر الإشارة إلى اعتناء القرآن الكريم بالعقل، حيث إن العقل في الإسلام هو مناط التكليف، أمَّا تعطيله فهو من أشدّ الأُمور استنكاراً في الشريعة الإسلامية، لذلك نجد الكثير من الآيات الكريمة التي تدعونا إلى التفكّر والتدبّر، وقد اعتنى القرآن بالقلب، فقد وصف المؤمنين بأنَّهم عند سماعهم لآيات الله ﷻ يزدادون إيماناً وتسليماً لله ﷻ وتلين قلوبهم عند ذكره، وينعكس هذا الإيمان والفهم والتدبّر للقرآن على سلوكهم.

10. تظهر أهميّة القُرآن بما يحتويه من الهداية بجميع جوانبها؛ من حيث العقيدة الصحيحة، والعبادات، والأخلاق، والتشريعات، والتعليمات التي تنظّم

حياة المجتمع، بما يضمن لهم الخير والعزّة والصلاح، كما أنّ الالتزام بما جاء فيه يضمن للإنسان حياة طاهرة، كما ويضمن له القوّة، والحضارة وغير ذلك من النعم التي لا تُحصى، قال ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الأعراف: ٩٦

ثانياً: فضل القرآن:

القرآن الكريم هو الكتاب الذي أنزله الله ﷻ على محمد ﷺ هداية ورحمة للنّاس جميعاً، وهو كتاب الله ﷻ الخالد، وحُجّته البالغة، وهو باقٍ إلى أن تفنى الحياة على الأرض، وفيه أنزل الله ﷻ شريعته وحُكمه التامّ الكامل؛ ليتّخذه النّاس شرعةً ومنهاج حياة، وهو معجزة محمد ﷺ التي عجز الجنّ والإنس جميعاً عن أن يأتوا بمثلها بعد أن تحدّاهم الله ﷻ بذلك، فقد قال ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨

يستحب للمسلم أن يداوم على تلاوة القرآن الكريم، والإكثار منها، وهو بذلك يتّبع سنّة جليلة من سنن الإسلام، وقد بيّن الله ﷻ ورسوله ﷺ فضل تلاوة القرآن، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ فاطر: ٢٩، ويذكر من فضائل القرآن ما يأتي:

1. تحصيل الحسنات، وسبب لنيل الأجر العظيم؛ فمن قرأ حرفاً من كتاب الله ﷻ كانت له به عشر حسنات، والله ﷻ يضاعف لمن يشاء.

2. تنزُّل السكينة على قارئ القرآن، فتطمئنّ نفسه، وتخشع.

3. عُلوّ شأن قارئ القرآن، ونَيله المكانة العالية الرفيعة التي لا تُعطى لغيره.

4. القرآن الكريم يقف شفيعًا لصاحبه يوم القيامة، فكيف ينال المسلم شفاعة القرآن الكريم؟

إنَّ القرآن الكريم يقف يوم القيامة شفيعًا لمن حرص على قراءته وسعى بشكل دائم على أن يكون على صلة وارتباط به، ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ: "**تعلَّموا القرآن فإنَّه يأتي يوم القيامة شافعًا لأصحابه**"[1]

5. القرآن الكريم يحقق الطمأنينة النفسية لصاحبه، فإنَّ طمأنينة القلب تحصل للمسلم بذكر الله ﷻ ودليل ذلك قوله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨، ومن المعلوم أنَّ تلاوة القرآن الكريم تعدُّ من أفضل الذكر.

6. القرآن الكريم شفاء لصاحبه من الأمراض، إنَّ فضل القرآن الكريم على صاحبه أيضًا أنَّه شفاء له من جميع الأمراض البدنية والنفسية، ودليل ذلك قوله ﷻ: ﴿ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ ﴿٤٤﴾ ﴾ فصلت: ٤٤، وقوله ﷻ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الإسراء: ٨٢

7. قارئ القرآن له الأجر والثواب العظيم يوم القيامة، فلقد جعل الله ﷻ لقراءة القرآن الكريم أجرًا كبيرًا وثوابًا عظيمًا، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رَسول الله ﷺ ونحن في الصفة، فقال: "**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان، أو إلى**

1 صحيح ابن حبان (1/ 322) حديث رقم (116)

العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم، ولا قطع رحم؟"، فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: "أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم، أو يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ، خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل"[1]

8. قارئ القرآن له المنزلة العظيمة يوم القيامة، فإنَّ القرآن الكريم يرفع منزلة صاحبه يوم القيامة ويجعله مع السفرة الكرام البررة، قال رسول الله ﷺ: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرامِ البررة"[2]

9. قارئ القرآن يضاعف له أجر قراءته بكل حرف، فإضافة إلى كل ما سبق من فضائل القرآن الكريم، فإنَّه أيضًا سببٌ لمضاعفة الأجر، قال رسول الله ﷺ: "منْ قرأَ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف"[3]

10. الملائكة تحيط مجالس القرآن الكريم فإنَّ من الشرف العظيم الذي يتحصَّل للمسلم عند انضمامه لمجالس القرآن الكريم أنَّ الملائكة تحفُّه، قال رسول الله ﷺ: "لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده"[4]

11. من فضائل القرآن أنه هدى للمتقين، قال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾ البقرة: ٢

1 صحيح مسلم (1/ 552) حديث رقم (803)
2 صحيح مسلم (1/ 549) حديث رقم (798)
3 سنن الترمذي (5/ 175) حديث رقم (2910)
4 صحيح مسلم (4/ 2074) حديث رقم (2700)

قال ابن كثير: "خصت الهداية للمتقين، كما قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ فصلت: ٤٤، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ الإسراء: ٨٢، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن؛ لأنه هو في نفسه هدى، ولكن لا يناله إلا الأبرار، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ يونس: ٥٧، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴿٩﴾﴾ الإسراء: ٩"[1]

قال السعدي: "يخبر ﷻ عن شرف القرآن وجلالته وأنه يهدي للتي هي أقوم أي: أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره"[2]

12. من فضائل القرآن أن إنزاله في شهر رمضان صار مزية كبرى لهذا الشهر، فإذا كان شهر رمضان قد نال هذه المزية بسبب نزول القرآن فيه، فما الظن بشرف القرآن المنزل نفسه؟! قال ﷻ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴿١٨٥﴾﴾ البقرة: ١٨٥

قال البقاعي: "في مدحه بإنزاله فيه مدح للقرآن به"[3]

1 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (1/ 163)
2 تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 454
3 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (3/ 56)

وقال الشنقيطي: "إنزال القرآن العظيم هو أعظم نعمة على البشر، ولأجل ذلك علمهم الله ﷻ حمده على هذه النعمة العظمى في أول سورة الكهف في قوله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ۝١﴾ الكهف: ١ .

وقد بين ﷻ أنه أنزل هذه النعمة في شهر رمضان، فكان نزول هذه النعمة في شهر رمضان مقتضياً لصومه لا لجعل أيامه أعياداً يستقبح صومها؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۝١٨٥﴾ البقرة: ١٨٥، وهذا هو أعظم النعم، وقد رتب على هذا بالفاء قوله بعده: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۝١٨٥﴾ البقرة: ١٨٥ ؛ فافهم"[1]

وقال ابن عثيمين: "خص الله ﷻ الصوم بشهر رمضان في هذه الملة؛ لأنه الشهر الذي نزل فيه القرآن الذي هو أعظم كتاب سماوي نزل لهداية البشر، وإصلاح دينهم ودنياهم، وسيرهم إلى ربهم ﷻ، ومعاملتهم فيما بينهم، وهو الكتاب الذي لا يصلح الخلق إلا التمشي على خططه والتمسك به"[2]

13. من فضائل القرآن تعليق الرحمة بالاستماع إليه، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾ الأعراف: ٢٠٤

قال ابن جرير: "يقول ﷻ ذكره للمؤمنين به المصدقين بكتابه الذين القرآن لهم هدى ورحمة: إذا قرئ عليكم أيها المؤمنون القرآن فاستمعوا له يقول: أصغوا له سمعكم لتتفهموا آياته وتعتبروا بمواعظه، وأنصتوا إليه لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه؛

1 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (7/ 375 – 376)
2 مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (19/ 27 – 28)

فلا تعقلوه لعلكم ترحمون يقول: ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه، واعتباركم بعبره، واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه في آية"[1]

14. من فضائل القرآن أن الله ﷻ أقسم به، قال ﷻ: ﴿ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ ﴾ يس: ٢ - ٣

قال ابن القيم: "إنما يقسم ﷻ من كل جنس بأعلاه، ولما أقسم بكلامه أقسم بأشرفه وأجله، وهو القرآن"[2]

وقال السعدي: "تأمل جلالة هذا القرآن الكريم؛ كيف جمع بين القسم بأشرف الأقسام على أجل مقسم عليه، وخبر الله ﷻ وحده كاف، ولكنه ﷻ أقام من الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة في هذا الموضع على صحة ما أقسم عليه من رسالة رسوله ﷺ"[3]

وقال ابن عثيمين: "إن قيل: ما الفائدة من إقسامه ﷻ مع أنه صادق بلا قسم، أجيب: أن فائدة القسم من وجوه: أن الله ﷻ يقسم بأمور عظيمة دالة على كمال قدرته وعظمته وعلمه، فكأنه يقيم في هذا المقسم به البراهين على صحة ما أقسم عليه بواسطة عظم ما أقسم به، والتنويه بحال المقسم به؛ لأنه لا يقسم إلا بشيء عظيم"[4]

15. من فضائل القرآن أن الاعتصام به سلامة من الفتن، قال ﷻ: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۝١٠٣ ﴾ آل عمران: ١٠٣

1 جامع البيان للطبري (13/ 344 – 345)
2 التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص 117
3 تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 692
4 مجموع فتاوى ورسائل لابن عثيمين (10/ 612)

قال ابن تيمية: "أمر بالاعتصام بحبل الله ﷻ، وهو كتابه"[1]

عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال في خطبته في حجة الوداع: "**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به؛ كتاب الله**"[2]

قال الشاطبي عن القرآن الكريم: "إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله ﷻ سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه"[3]

16. من فضائل القرآن حصول الخيرية لمن تعلمه وعلمه، فعن عثمان بن عفان ﷺ أن النبي ﷺ قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[4]

قال المظهري: "قوله: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"؛ يعني: إذا كان خير الكلام كلام الله ﷻ، فكذلك خير الناس بعد النبيين من تعلم ويعلم كلام الله ﷻ"[5]

وقال ابن تيمية: "دخل في معنى قوله: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" تعليم حروفه ومعانيه جميعاً، بل تعلم معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه، وذلك هو الذي يزيد الإيمان"[6]

وقال ابن عثيمين: "الخطاب للأمة عامة؛ فخير الناس من جمع بين هذين الوصفين؛ من تعلم القرآن وعلم القرآن؛ تعلمه من غيره، وعلمه غيره، والتعلم والتعليم يشمل التعلم اللفظي والمعنوي، فمن حفظ القرآن يعني صار يعلم الناس التلاوة ويحفظهم إياه، فهو داخل في التعليم، وكذلك من تعلم القرآن على هذا

---

1 مجموع الفتاوي لابن تيمية (19/ 80)
2 صحيح مسلم (2/ 886) حديث رقم (1218)
3 الموافقات للشاطبي (4/ 144)
4 صحيح البخاري (6/ 192) حديث رقم (5027)
5 شرح سنن ابن ماجه للسيوطي ص 19
6 مجموع الفتاوي لابن تيمية (13/ 403)

الوجه فهو داخل في التعلم، والنوع الثاني: تعليم المعنى، يعني تعليم التفسير؛ أن الإنسان يجلس إلى الناس يعلمهم تفسير كلام الله ﷻ"[1]

17. من فضائل القرآن الكريم شفاعته لأهله يوم القيامة، وقد جاءت هذه الشفاعة للقرآن الكريم كله ولسور منه بعينها، فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " **اقرءوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما**"[2]

قال الطيبي: "قوله: "اقرؤوا سورة البقرة" تخصيص بعد تخصيص، عم أولاً بقوله: "اقرؤوا القرآن"، وعلق به الشفاعة، وخص منه ثانياً الزهراوين، ونيط بهما معنى التخليص من كرب حر القيامة، والمحاجة عن أصحابهما. وأفرد ثالثاً البقرة، وضم إليها المعاني الثلاثة دلالة على أن لكل منها خاصية لا يقف عليها إلا صاحب الشرع"[3]

قال علي القاري: "يقول: "اقرؤوا القرآن" أي: اغتنموا قراءته وداوموا على تلاوته، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً، أي: مشفعاً لأصحابه، أي: القائمين بآدابه، "اقرؤوا" أي: على الخصوص الزهراوين تثنية الزهراء تأنيث الأزهر، وهو المضيء الشديد الضوء، أي: المنيرتين؛ لنورهما وهدايتهما وعظم أجرهما، فكأنهما بالنسبة إلى ما عداهما عند الله ﷻ مكان القمرين من سائر الكواكب"[4]

---

1 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (4/ 639 – 640)
2 رواه مسلم (1/ 553) حديث رقم (804)
3 فيض القدير للمناوي (2/ 63)
4 مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري (4/ 1460)

وعن النواس بن سمعان ﷺ أن النبي ﷺ قال: "**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة، وآل عمران تحاجان عن صاحبهما**"[1]

قال علي القاري: "الذين كانوا يعملون به" دل على أن من قرأ ولم يعمل به لم يكن من أهل القرآن، ولا يكون شفيعاً لهم، بل يكون القرآن حجة عليهم، "تقدمه" أي: تتقدم أهله أو القرآن سورة البقرة وآل عمران"[2]

18. من فضائل القرآن الكريم الوعد بالثواب على قراءته ومدارسته، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**"[3]

في هذا الحديث أخبر النبي ﷺ أنه لا يجتمع قوم في بيت من بيوت الله ﷻ، وهي المساجد، يتلون كتاب الله ﷻ بأن يقرأه بعضهم على بعض، ويتدبروا معانيه، ويتدارسوا أحكامه، ويتعهدوه خوف النسيان- إلا منحهم الله ﷻ الأجر الجزيل فضلاً منه ﷻ وكرماً، وقد بين النبي ﷺ أربع منح من الله ﷻ يعطيها ﷻ لمن جلس تلك المجالس، **وأولها:** نزول السكينة، وهي: شيء يقذفه الله ﷻ في القلب، فتورثه الصفاء والنقاء، وتذهب عنه الظلمة والسواد والضيق، ومن ثم يكون مطمئناً غير قلق ولا شاك، راضياً بقضاء الله ﷻ وقدره، وهذه السكينة نعمة عظيمة من الله ﷻ.

1 صحيح مسلم (1/ 554) حديث رقم (805)
2 مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري (4/ 1461)
3 صحيح مسلم (4/ 2074) حديث رقم (2699)

والمنحة الثانية: غشيان الرحمة، "وغشيتهم الرحمة" يعني: غطتهم؛ فإن المجتمعين على مثل هذه المجالس تغشاهم الرحمة من الله ﷻ وتحيط بهم، وتكون لهم بمنزلة الغطاء الشامل.

والمنحة الثالثة: أن تحفهم الملائكة؛ بأن يطوفوا بهم، ويدوروا من حولهم؛ تعظيماً لشأنهم، واستماعاً لذكرهم الله ﷻ، وليكونوا شهداء عليهم بين يدي الله ﷻ.

والمنحة الرابعة: أن يذكرهم الله ﷻ فيمن عنده، فيباهي الله ﷻ بهم من عنده من الملائكة المقربين، وأعظم بهذا من فضل جزيل وثواب عظيم!

قال ابن عثيمين: "هذا القرآن له فضائل عظيمة؛ فضائل عامة، وفضائل في آيات وسور خاصة؛ مثلا الفاتحة هي السبع المثاني وهي أم الكتاب، آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله ﷻ، وهلم جرا، هناك آيات أو سور لها فضل خاص، أما القرآن عموماً فله أيضاً فضائل عامة، وهذا يوجب علينا أن نحرص غاية الحرص على تلاوة كتاب الله ﷻ ليلاً ونهاراً"[1]

1 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (4/ 633)

أسماء وصفات وآداب القرآن

أولاً: أسماء القرآن:

❖ عدد أسماء القرآن الكريم:

تعددت آراء العلماء في عدد أسماء القرآن الكريم، وفيما يأتي تفصيل لذلك:

قال الحراليّ: "إنّ عدد أسماء القرآن يبلغ أكثر من تسعين اسماً"[1]

وقال الزركشيّ: "أنّ الله ﷻ سمى القرآن الكريم خمسة وخمسين اسماً، وأنّ عدد الأسماء الكثيرة يدل على شرف المسمّى، ومنزلته العالية، ومكانته السامية"[2]

وقال الفيروز آبادي: "أنّ الله ﷻ ذكر للقرآن مائة اسم نسوقها على نَسَق واحد، لكنه لم يذكر إلا تسعة وثمانين اسمًا وزادها أربعة أسماء فتكون جملتها ثلاثة وتسعين اسمًا في القرآن للقرآن"[3]

وقال صالح البليهيّ: "ستة وأربعين اسماً للقرآن، وبَيَّن أنّ ما ورد غيرها أوصاف وليست أسماء"[4]

❖ أسماء القرآن الكريم:

اشتهر القرآن الكريم بأربعة أسماء، وهي: الكتاب، والذكر، والفرقان، والقرآن، أمّا ما ذكر من أسماء أخرى؛ فهي من قبيل الصفات لا من الأسماء، مثل: وصف القرآن بالعظيم، أو الكريم، أو المتين، أو المجيد، أو العزيز، وغير ذلك من الصفات، وفيما يأتي تفصيل وبيان بعض من الأسماء الخاصّة بالقرآن:

---

1 البرهان في علوم القرآن للزركشي (1/ 273)
2 البرهان في علوم القرآن للزركشي (1/ 273)
3 بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادى (1/ 88)
4 الهدى والبيان في أسماء القرآن: صالح البليهي ص44

❖ الأسماء الشائعة للقرآن الكريم:

1. **القرآن:** وهو مصدرٌ؛ يقال في اللغة: قرأتُه قراءةً؛ أي تلوتُه تلاوةً، وقد ورد ذكر لفظ القرآن بمعنى المصدر في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ القيامة: ١٧ - ١٨، أمّا القرآن في الاصطلاح الشرعيّ، فهو: كلام الله ﷻ الذي أنزله على نبيّه محمّد ﷺ المتعبَّد بتلاوته، والمعجز بآياته، والمتحدَّى به الإنس والجنّ.

2. **الكتاب:** واللفظ في اللغة مأخوذ من: كُتُب، ويُقصَد بذلك: الجَمْع، ثمّ أُطلق اللفظ على الكتابة؛ لأنّها تجمع الحروف، وسمي القرآن بالكتاب؛ لأنّه جمع أنواعاً عديدةً من القَصص، والأحكام، والأخبار، والآيات، وذلك على شكل مخصوص؛ قال ﷻ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴿٩٢﴾ ﴾ الأنعام: ٩٢

3. **الفُرقان:** وسمي القرآن بذلك؛ لأنّه فَرَّق بين الحَقّ والباطل؛ إذ قال ﷻ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ الفرقان: ١

4. **التنزيل:** وهو مصدرٌ يُقصَد به: المنزَّل؛ وذلك لأنّه نَزَل من عند الله ﷻ القائل فيه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٢

5. **المصحف:** وهي تسمية ظهرت بعد جمع القرآن الكريم زمن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، ولم يرد أيّ حديث مرفوع إلى النبي ﷺ في تسمية القرآن بالمصحف؛ لأنّه لم يكن مجموعاً في مصحف آنذاك.

6. **الذكر: ذكر الرازي:** "أن تسمية القرآن بالذكر فيه عدّة وجوه؛ أوّلها: لأنّه

تضمَّن على العديد من المواعظ والزواجر، وثانيها: لاشتماله على ما يحتاجه الناس في أمور دنياهم وآخرتهم، أمّا ثالثها: فهو أنّ الذكر بمعنى الشرف؛ قال الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤ ﴾ الزخرف: ٤٤؛ أي أنّ القرآن شَرَفٌ عظيم لك يا محمد ﷺ وشرف لقومك"[1]

❖ الأسماء غير الشائعة للقرآن الكريم:

وتجدر الإشارة إلى أنّ **الرازيّ** ذكر بعض الأسماء غير المشهورة، والتي يذكر منها:

1. **الحديث:** إذ قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا ٢٣ ﴾ الزمر: ٢٣، وسمي حديثاً؛ لأنّ وصول القرآن يعدّ حديثاً، ولأنّ الله ﷻ شَبَّه القرآن بما يُتحدَّث به؛ فقد خاطب الله ﷻ به المكلَّفين.

2. **المَوعظة:** إذ قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ٥٧ ﴾ يونس: ٥٧

3. **الشفاء:** فقد قال ﷻ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٢ ﴾ الإسراء: ٨٢

4. **الصراط المستقيم:** قال ﷻ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ ١٥٣ ﴾ الأنعام: ١٥٣، إذ ذهب ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره للصراط المستقيم إلى أنّه القرآن.

5. **الرحمة:** فهو رحمة في التخلص من الجهل والضلال؛ قال ﷻ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٢ ﴾ الإسراء: ٨٢

1 مفاتيح الغيب للرازي (22/ 97)

6. **النور**: وهو ما يحصل به الإبصار، فقد قال ﷻ: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٧، وقال ﷻ: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ المائدة: ١٥

7. **الحق**: الذي لا يأتيه باطلٌ أبداً، قال ﷻ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: ٤٢، فالقرآن الكريم حَقٌّ، وقد سَمّاه الله ﷻ (الحقَّ) في كتابه؛ إذ قال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ ﴾ الحاقة: ٥١

8. **العظيم**: قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الحجر: ٨٧

9. **كلام الله ﷻ**: كما قال ﷻ: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التوبة: ٦

وتبقى التسمية المختصة بكتاب الله هي: "القرآن" برتبة أولى في الاستعمال، و"الفرقان" في رتبة ثانية، وباقي التسميات هي أعم في استعمالات ألفاظها ومعانيها من القرآن الكريم، وبالتالي فهي مشتركة بين القرآن وغيره.

❖ الحكمة من تعدُّد أسماء القرآن:

تكمُن الحكمة من تعدُّد أسماء القرآن كما بيّنها **الفيروز آبادي** فيما يأتي:

"أنّ هذا التعدُّد يدلّ على شَرَف المسمّى، وكماله في أمر ما؛ فعلى سبيل المثال تدلّ كثرة أسماء الأسد على قوّته الكاملة، وكثرة أسماء القيامة تدلّ على كمال صعوبة ذلك اليوم وشِدّته، وكذلك أسماء الداهية عديدةٌ تدلّ على شدّتها، ومن ذلك كثرة أسماء الله ﷻ التي تدلّ على كماله ﷻ، وأسماء النبيّ ﷺ الكثيرة تدلّ

على مَرتبته العالية، وسموّ درجته، وكثرة الأسماء التي سمي بها القرآن تدلّ على شرف مكانته، وعظيم فَضْله"[1]

ولا شكّ في أنّ القرآن الكريم أعظم وأشرف كتاب؛ ولذلك تعدّدت الأوصاف والأسماء التي أُطلقت عليه، وقد وردت في القرآن نفسه، كما وأن هناك العديد من الأسماء والصفات التي وردت في القرآن الكريم من باب تعظيم كلام الله ﷻ، وتقديسه، وإبقاء ذكره مُخلَّداً، وبيان أهمّيته وفضله وعظمته على غيره من الكتب الأخرى.

ثانياً: صفات القرآن:

عند العودة إلى القرآن الكريم، وتتبّع توصيفات المولى ﷻ لكتابه، سنلحظ أنّ هناك جملة كبيرة من الصفات التي استعملها المولى ﷻ في توصيف كتابه، ونحن عندما نتحدث عن صفات القرآن وكذلك أسماؤه، لا نستند في ذلك على الروايات أو توصيف المخلوق له، بل نعتمد ونستند في تحديد الاسم أو الصّفة، على قول ﷻ في كتابه المنزّل على نبيه محمّد ﷺ، ونذكر أهم الصّفات المعلومة عند كل من قرأ القرآن، فلا وصف للقرآن أبلغُ ممّا وصفه به الله ﷻ، ونبيّه ﷺ، وبيان بعض هذه الأوصاف فيما يأتي:

1. **الروح:** والروح ما تحصل به الحياة، ووصف بذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴿٥٢﴾ ﴾ الشورى: ٥٢

2. **الهادي:** أي الذي يهتدي به الناس إلى الطريق القويم، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا

1 بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروز آبادى (1/ 88)

ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴿٩﴾ ﴾ الإسراء: ٩

3. **الشفاء والرشاد:** قال ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ فصلت: ٤٤

4. **الكريم:** قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ الواقعة: ٧٦ - ٧٧

5. **المبين:** قال ﷻ: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ ﴾ الحجر: ١

6. **الحكيم:** قال ﷻ: ﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ يس: ١ - ٢

7. **المبارك:** قال ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص: ٢٩

8. **المجيد:** قال ﷻ: ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ ﴾ ق: ١

9. **العزيز:** قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ ﴾ فصلت: ٤١

10. **الهدى:** قال ﷻ: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ البقرة: ١ - ٢

11. **الرحمة:** قال ﷻ: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ لقمان: ١ - ٣

12. **البرهان:** قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾ النساء: ١٧٤

13. **الوحي**: قال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٥، وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ ﴿١١٤﴾ ﴾ طه: ١١٤

14. **العجب**: قال ﷻ: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ الجن: ١ – ٢

15. **ذو الذكر**: قال ﷻ: ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾ ص: ١

16. **المصدق**: قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾ ﴾ المائدة: ٤٨، وقال ﷻ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ الأحقاف: ١٢

17. **البصائر**: قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٣

18. **البيان**: قال ﷻ: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٨

19. **التبيان**: قال ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النحل: ٨٩

20. **المهيمن**: قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾ ﴾ المائدة: ٤٨

21. **المنير**: قال ﷻ: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٤

22. **المبشر**: قال ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ الإسراء: ٩

23. **التفصيل**: قال ﷻ: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٤

24. **المفصَّل**: قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ الأنعام: ١١٤

25. **الفَصْل**: قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ ﴾ الطارق: ١٣

26. **الصدق**: قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الزمر: ٣٣

27. **ذكرى**: قال ﷻ: ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ ق: ٨

28. **التذكرة**: قال ﷻ: ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ طه: ٢ – ٣، وقال ﷻ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ ﴾ المدثر: ٥٤ – ٥٥

29. **التبصرة**: قال ﷻ: ﴿ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ ﴾ ق: ٨

30. **البيّنة**: قال ﷻ: ﴿ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ ١٥٧ ﴾ الأنعام: ١٥٧

31. **الرسالة**: قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ٦٧ ﴾ المائدة: ٦٧

32. **النبأ**: قال ﷻ: ﴿ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ٦٨ ﴾ ص: ٦٧ – ٦٨

33. **العروة الوثقى**: قال ﷻ: ﴿ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ٢٥٦ ﴾ البقرة: ٢٥٦

34. **المسطور**: قال ﷻ: ﴿ وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣ ﴾ الطور: ١ – ٣

35. **الثقيل**: قال ﷻ: ﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ ﴾ المزمل: ٤ – ٥

وتجدر الإشارة إلى أنّ الله ﷻ أقسم بالقرآن الكريم في كثير من المواضع فيه، ومنها قوله ﷻ: ﴿ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ ﴾ الزخرف: ٢، والقرآن كلام الله ﷻ، وعظمته من صلته بالله ﷻ؛ ومن هنا فقد شرّع الإسلام أحكاماً خاصة في التّعامل معه؛ رعايةً لحُرمته، وتأكيداً على صونه، وإظهاراً لفضله، ومن مكانته العظيمة أنّ الصلاة لا تصحّ إلّا به؛ إذ يجب على المسلم أن يقرأه في كلّ ركعة في الصلاة، كما لا يصحّ إيمان المسلم إلّا إذا آمن به.

ثالثاً: آداب القرآن:

❖ الآداب التي يراعيها القارئ قبل التلاوة:

توجد العديد من الآداب التي ينبغي على قارئ القُرآن أن يُراعيها قبل تلاوته للقُرآن، ومنها ما يأتي:

1. **الإخلاص:** والمعنى أن يقصد بتلاوته وجه الله ﷻ ورضاه، وابتغاء الأجر منه، وليس التوصل إلى غرض من أغراض الدنيا؛ كالمال، أو الجاه، أو ثناء الناس عليه، لقوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ البينة: ٥، وقد حذر النبيّ ﷺ من عدم الإخلاص بقوله: "**من تعلَّم علمًا مما يبتغى به وجهَ الله ﷻ، لا يتعلَّمُه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنةِ يوم القيامة، يعني ريحها**"[1]

2. **الوضوء:** فيسن لقارئ القرآن أن يقرأه وهو متوضئ، وقراءته للقرآن من غير وضوء جائز، ولكنه فعل خلاف الأفضل، وفي حال عدم وجود الماء فيجوز الانتقال إلى التيمم، وأمّا من كان على جنابة أو من كانت حائضاً؛ فإنه يحرمُ عليها قراءة القُرآن، مع جواز إمرار القرآن على قلبيهما من غير أن يتلفظا به، لقوله ﷺ: "**لا يمس القرآن إلا طاهر**"[2]

3. **السواك:** فيسن للقارئ أن يستعمل السواك قبل البدء بالتلاوة، فقد قال النبي ﷺ: "**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرَّب**"[3]، واستحب العلماء استعمال السواك

---

1 مسند أحمد (14/ 169) حديث رقم (8457)، سنن ابن ماجه (1/ 92) حديث رقم (252)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 160) حديث رقم (288)

2 المعجم الكبير للطبراني (12/ 313) حديث رقم (13217)، سنن الدارقطني (1/ 219) حديث رقم (439)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 552)

3 مسند أحمد (40/ 240) حديث رقم (24203)

قبل القراءة؛ لأن ما يخرج من فم القارئ تدخل في فم الملك؛ فالملك يضع فاه على فم القارئ، قال علي ﷺ: "**إنّ أفواهكم طُرقٌ للقرآن، فطيّبوها بالسواك**"[1]

4. **النظافة:** والمقصود بها نظافة المكان الذي يريد القارئ القراءة فيه، ولذلك استحب بعض العلماء القراءة في المسجد؛ لأنه جامع للنظافة وشرف المكان، وأمّا تلاوته في الطريق وغير ذلك؛ فهي صحية بشرط عدم الانشغال عنها، وأمّا في الأماكن التي ينشغل بها القارئ فهي مكروهة، وأمّا الحائض فيجوز لها قراءته ولكن من غير أن تمس المصحف؛ لأن عذرها يمكث وقتاً طويلاً.

5. **استقبال القبلة:** فيسن للقارئ عند قراءته للقرآن أن يستقبل القبلة، وأن يجلس بخشوع ووقار، وأما قراءته في الفراش أو مضطجعاً أو واقفاً وماشياً وراكباً فهو جائز، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴿١٩١﴾ ﴾ آل عمران: ١٩١، ولا يشترط الحجاب لتلاوة القرآن للنساء.

6. **الاستعاذة:** وهي قول: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، لقوله ﷻ: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ النحل: ٩٨، وتقدير الآية عند الجمهور: إذا أردت القراءة فاستعذ بالله ﷻ،وذلك أن الشيطان يحضر عند شروعه بالقراءة، ليصرفه عن مقاصد القرآن الجليلة، ومعانيه العظيمة، والتي فيها صلاح دينه ودينا، والاستعاذة مستحبة لكل قارئ، في الصلاة وخارجها.

وكان النبي ﷺ يستعيذ بالله ﷻ فيقول: "**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من همزه**

1 سنن ابن ماجه (1/ 106) حديث رقم (291)

ونفخه ونفثه"[1]، وكان أحياناً يزيد فيقول: "**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم**"[2]

7. **البسملة:** وهي قول:" بسم الله الرحمن الرحيم"، باستثناء البدء بسورة براءة – التوبة–.

8. **التطيب وطهارة اللباس عند إرادة التلاوة:** وذلك لفعل النبي ﷺ إذ كان يمس من طيبه عند تلاوته للقُرآن.

❖الآداب التي يراعيها القارئ أثناء التلاوة:

توجد العديد من الآداب التي ينبغي على القارئ مراعاتها أثناء تلاوته للقُرآن، ومنها ما يأتي:

1. استحباب التوقف عن القراءة عند التثاؤب؛ لأن العبد يخاطب ربه ﷻ ويناجيه، وكذلك عدم العبث أو الإكثار من الحركة لغير الحاجة

2. رفع المصحف بيده أو على شيء مرتفع، وعدم وضعه على الأرض؛ لما في ذلك من الامتهان له.

3. الوقوف عند آيات الوعد وسؤال الله ﷻ من فضله، والوقوف عند آيات الوعيد والاستعاذة بالله ﷻ من عذابه، لفعل النبي ﷺ ذلك، فعن عوف بن مالك رضي الله عنه يقول: "**قمت مع رسول اللَّه ﷺ فبدأ فاستاك ثمَّ توضَّأ ثمَّ قامَ يصلي وقمتُ معه فبدأ فاستفتح البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف يتعوَّذ**"[3]

---

1 سنن ابن ماجه (1/ 265) حديث رقم (807)، صحيح ابن حبان (5/ 78) حديث رقم (1779)
2 سنن الترمذي (2/ 9) حديث رقم (242)
3 مسند أحمد (39/ 405) حديث رقم (23980)، السنن الكبرى للنسائي (1/ 361) حديث رقم (722)

4. قراءة القرآن بتدبر وإمعان، وألا يكون أكبر همه كثرة القراءة، مع استحضار القلب للآيات التي يقرأها، ويكره السرعة في تلاوة القرآن؛ لأن ذلك منافٍ للتدبر، قد قام النبي ﷺ **بآية يرددها حتى أصبح**، وهي قوله: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ المائدة: ١١٨"[1]

وجاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال: **إني لأقرأ المفصل في ركعة؟! فقال عبد الله** رضي الله عنه: **هذّاً كهذّ**[2] **الشعر؟! إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يُجاوز تَراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه، نفع**"[3]

وقال ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً: "**من أراد علماً فليقرأ القرآن، فإن فيه خير الأولين والآخرين**"[4]، **وقال الحسن البصري** رضي الله عنه: "إنّ من كان قبلكم رأوا أن هذا القرآن رسائل إليهم من ربهم سبحانه وتعالى، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها في النهار"[5]

5. قراءة القرآن بترتيل وتأنٍ ولا يهذه هذاً كالشعر، والتغنّي بالقرآن؛ أي تحسين الصوت به عند قراءته، وأن لا يختمه في أقل من ثلاث، ولا يجعل همّه عند التلاوة بلوغ آخر السورة، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ المزمل: ٤، وقوله: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٦، فقوله: ﴿ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ أي : على مُهل، ليتدبروه ويتفكروا في معانيه وعلومه، وقول النبي ﷺ: "**لم يفقه مَن قرأ القرآن في أقل من ثلاث**"[6]، وقالت عائشة رضي الله عنها:

---

1 مسند أحمد (35/ 309) حديث رقم (21388)، سنن ابن ماجه (1/ 429) حديث رقم (1350)، السنن الكبرى للنسائي (2/ 24) حديث رقم (1084)

2 والهذّ: شدة الإسراع في القراءة، وهي عادة العرب في الشعر.

3 صحيح مسلم (1/ 563) حديث رقم (822)

4 مصنف ابن أبي شيبة (7/ 256) حديث رقم (35839)

5 إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين للبكري (2/ 285)

6 سنن ابن ماجه (1/ 428) حديث رقم (1347)، سنن الترمذي (5/ 198) حديث رقم (2949)

"ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة، ولا صلى ليلة إلى الصبح، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان"[1]، ويعدّ ذلك من الآداب المستحبّة عند قراءة القرآن؛ لأنّ المسلم مطالب بالعناية بتلاوته؛ فقد جاءت الكثير من الآيات التي تحث القارئ على التفكر والتدبر أثناء التلاوة، كقوله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ ص: ٢٩،

6. البكاء أثناء التلاوة، حيث إنها من علامات الصالحين، قال ﷻ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ مريم: ٥٨

7. استحباب الإسرار بالقراءة إن خاف القارئ على نفسه الرياء والعجب، وإن لم يخف على نفسه من ذلك؛ فالجهر في حقه أفضل.

8. التغني بالقرآن وتحسين الصوت به، دون تكلف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" وزاد بعضهم: يجهر به"[2]

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه: أن رسول ﷺ قال: "زيّنوا القرآنَ بأصواتكم"[3]، وقال ﷺ: "حسّنوا القرآن بأصواتكم، فإنّ الصوت الحَسن يزيد القرآن حُسناً"[4]

9. ومن آداب تلاوة القرآن تقطيع القراءة آية آية: وذلك بالوقف عند رؤوس الآيات، فعن أم سلمة رضي الله عنها: أنها ذكرت – أو كلمة غيرها – قراءة رسول الله ﷺ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ الفاتحة: ١ - ٤، يقطع قراءته آية آية"[5]

1 صحيح مسلم (1/ 513) حديث رقم (746)
2 صحيح البخاري (9/ 154) حديث رقم (7527)
3 سنن ابن ماجه (1/ 426) حديث رقم (1342)، سنن النسائي (2/ 179) حديث رقم (1015)
4 سنن الدارمي (4/ 2194) حديث رقم (3544)، شعب الإيمان للبيهقي (3/ 461) حديث رقم (1955)
5 مسند أحمد (44/ 206) حديث رقم (26583)

"كان يقطّع قراءته، يقول ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ثم يقف ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ثم يقف"[1]

10. العمل بالقرآن، والائتمار بأوامره، واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده، إذً الأصل أن يكون حفظ القرآن وتلاوته، وسيلة للعمل به، والتحاكم إليه، وطريقاً للتخلق بأخلاقه.

11. السجود عند تلاوة آية سجدة، أو سجود القارئ، فعن أبي رافع ﷺ قال: صليت مع أبي هريرة ﷺ العتمة فقرأ ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ ﴾ الانشقاق: ١، فسجد فقلت: ما هذه؟ قال: سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه"[2]

❖ آداب عامة تتعلق بتلاوة القرآن الكريم:

توجد العديد من الآداب العامة التي ينبغي على قارئ القُرآن أن يلتزم بها، ومنها ما يأتي:

1. الالتزام بتعاليمه، وتحكيمه في جميع شؤون الحياة، وجاء في ذلك العديد من الآيات، كقوله ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥ ﴾ النساء: ٦٥

2. تعظيمه وتعاهده بالحفظ والعمل به، وعدم وضع شيء فوقه، أو إعطائه لمن لا يُقدر قيمته؛ كالكافر أو الصغير غير المميز.

1 سنن الترمذي (5/ 182) حديث رقم (2923)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 252) حديث رقم (2910)
2 صحيح البخاري (1/ 153) حديث رقم (768)، صحيح مسلم (1/ 407) حديث رقم (578)

3. القراءة باستمرار في الكتب التي تعتني بتفسيره، وتبيين ألفاظه، وسؤال أهل الاختصاص عن معانيه، وربطه بالواقع العملي؛ لأن القرآن منهج للحياة.

4. كثرة ذكره الله ﷻ وشكره، والتوكل عليه، والاستعانة به، والرغبة إليه، مع الزهد في الدنيا.

5. مراقبة الله ﷻ في جميع الأحوال، والبعد عن المنكرات والشهوات المحرمة.

6. التواضع للفقراء، والابتعاد عن الكبر والعجب، فقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه: "**أنه ينبغي لحامل القُرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون**"[1]

❖ فضل تلاوة القرآن:

بعد الوقوف على أهم آداب تلاوة القرآن الكريم تجدر الإشارة إلى فضل تلاوة القرآن الكريم، فقد أثنى الله ﷻ على الذين يتلون القرآن الكريم بقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ فاطر: ٢٩ - ٣٠، وأوصى رسول الله ﷺ أمته بتلاوة القرآن حيث قال: "**عليك بتلاوة القرآن، وذكر الله عز وجل؛ فإنه ذِكر لك في السماءِ ونور لك في الأرض**"[2]، بالإضافة إلى أن الذي يتلو القرآن الكريم مع السفرة الكرام البررة، مصداقًا لما رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة**"[3]، ومن المعلوم أن تلاوة القرآن الكريم تتحقق بأمرين وهما:

1 مصنف ابن أبي شيبة (7/ 231) حديث رقم (35584)
2 شعب الإيمان للبيهقي (7/ 21) حديث رقم (4592)
3 صحيح مسلم (1/ 549) حديث رقم (798)

قراءة القرآن الكريم بتدبر وتمهل من غير تبديل ولا تحريف، واتباع ما جاء فيه من الأوامر والنواهي.

❖ أخطاء شائعة عند تلاوة القرآن:

من المواضيع التي ينبغي الإشارة إليها عند الحديث عن آداب تلاوة القرآن الأخطاء الشائعة التي يقع فيها المسلمون عند قراءة القرآن الكريم، فتجد البعض يُقدم على التلاوة من غير أن يراعي آدابها كالطهارة، واستخدام السواك، والاستعاذة بالله ﷻ، وتحسين الصوت، ومن الأخطاء الشائعة عند الاجتماع في المسجد للتلاوة والتدارس التساهل في كثرة الضحك، والمزاح والكلام الجانبي وقطع التلاوة، والواجب الاستماع والإنصات واجتناب ما يُشغل عن كلام الله ﷻ، بالإضافة إلى التشويش على المصلين من خلال رفع الصوت بالتلاوة، وقد نهى رسول الله ﷺ عن رفع الصوت في المسجد، حيث قال: "**ألا إنَّ كلَّكم مناجٍ ربه فلا يؤذينَّ بعضكم بعضًا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة أو قال في الصلاة**"[1]

1 مسند أحمد (18/ 392) حديث رقم (11896)

قراءة القرآن وواجبنا نحوه

أولاً: قراءة القرآن:

❖ صفة قراءة القرآن الكريم:

يتمثّل الأدب في قراءة القرآن بأن تكون القراءة بتمهُّل، ووقار، وتدبُّر؛ فقد كان النبيّ ﷺ يُبيّن الحروف، ويُظهرها، ويُخرجها من مَخارجها حين يقرأ القرآن، وذهب العلماء إلى أنّ تلاوة القرآن بالأحكام واجبٌ شرعاً على كلّ مسلم؛ فقراءة القرآن، وإعطاؤه حقّه؛ بالتلاوة دون تحريف، أو تبديل، تُعَدّ إحدى الصفات التي أثنى الله ﷻ بها على عباده المؤمنين؛ قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ البقرة: ١٢١

❖ كيف تكون قراءة القرآن الكريم:

تختصّ قراءة القرآن الكريم بكيفيّات أربع، بيانها فيما يأتي:

1. **الترتيل:** وهو يعني إعطاء كل حرف من حروف القرآن حَقّه، ومُستحَقّه من المخرج، والصفة، والحرص على إظهار التشديد في مكانه، وإتمام الحركة، وإظهار الحرف، وتطبيق أحكام النون، والتنوين؛ من إظهار، وإدغام، وقلب، وإخفاء، ونحوها، وتفخيم المفخَّم من الحروف، وترقيق المرقَّق منها، والحرص على الوَقْف، والابتداء الصحيحَين، والالتزام بكافّة أحكام التجويد التي فصَّل فيها العلماء، فإن طبَّقها القارئ، فقد أتقنَ بذلك القراءة، وأجادَها.

2. **التحقيق:** ويعني ترتيل القرآن بما ذُكر سابقاً مع زيادة في الطمأنينة، والبعد عن الإسراع، وهي القراءة التي تصلح للتعليم والتلقّي عن الشيوخ.

3. **الحَدر**: ويعني ترتيل القرآن، والإتيان بأحكام القراءة كلّها مع الإسراع فيها، والحذر من التقليل في الحركات والغُنَن، أو بَتْر الحروف.

4. **التدوير**: ويكون في حالة وسطى بين التحقيق، والحَدر؛ وهو الترتيل بالإتيان بكل الأحكام، والقواعد، وتُعَدّ قراءة أغلب القُرّاء.

❖ أنواع قراءة القرآن الكريم

تتنوّع أنواع قراءة القرآن الكريم بتنوُّع مقاصدها، وأهدافها، وبيانها فيما يأتي:

النوع الأوّل: القراءة بقَصد خَتم القرآن، وتحصيل الثواب، وهنا يهتمّ القارئ بقراءة أكبر قَدر من الآيات، والإكثار من الخَتمات؛ إذ إنّه ينال الأجر بمُجرَّد القراءة؛ فلم يحصر النبي ﷺ الأجر في الفَهم، والتدبُّر، والقراءة المحقَّقة فقط، وإنّما جَعلها في النُّطق بحروف القرآن أيضاً، وهذا النوع من القراءة هو الأكثر انتشاراً بين المسلمين؛ سواءً الناطقين باللغة العربيّة، أو الأعاجم؛ لقوله ﷺ: "**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**"[1]

النوع الثاني: القراءة بقَصد التدبُّر والتفكُّر في المقروء، وبهذه القراءة يتحصّل المقصد من نزول القرآن على الناس؛ إذ يتعلّمون منه أحكام الشَّرع، ومَقاصده؛ قال ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص: ٢٩، وهي أشرف أنواع القراءة، وبها تميّزت طبقة المفسِّرين الأوائل من الصحابة ﭫ، وتختلف درجة التدبُّر باختلاف المستوى العلمي للشخص، ومقصده، وهدفه، ومن درجاتها ما يستعين به الأكاديميون في بحوثهم، ودراساتهم.

1 سنن الترمذي (5/ 175) حديث رقم (2910)

النوع الثالث: القراءة بقَصد حفظ كتاب الله ﷻ، ومراجعة المحفوظ؛ فيكرر الحُفّاظ المقرَّرَ من الآيات حتى يحفظوها في صدورهم أوّل مرّة، ثمّ يجعلون لهم نصيباً يوميّاً من المراجعة والتكرار لما حفظوه، وتكرار المحفوظ وتعاهده أدعى لثباته في الصدور، واستحضاره عند الحاجة؛ قال النبي ﷺ: "**تعاهَدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشدُّ تفلُّتًا من الإبل في عقُلها**"[1]

النوع الرابع: القراءة بقَصْد الترتيل، والتجويد؛ فتكون القراءة بإتقان، وإحسان، بهدف التدرُّب على قراءة القرآن وفق أحكام التجويد؛ امتثالاً لقوله ﷻ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ الإسراء: ١٠٦؛ أي لتقرأه بتمهُّل، وتأنٍّ، وقد أدّت العناية بهذا النوع من القراءة عند عدد من القُرّاء إلى ظهور ما يُعرَف بطبقة قُرّاء القراءات؛ وهم مجموعة من القُرّاء الذين يَعتنون بإتقان التلاوة، والعناية بأحكام التجويد، وتجميل الصوت في القراءة.

❖ فضل قراءة القرآن الكريم:

جعل الله ﷻ لمن يقرأ من كتابه حرفاً عشر حسنات؛ قال النبي ﷺ: "**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**"[2]، وهذا من بركة القرآن الكريم، وفضله، كما أنّ تلاوته وتعاهده سبب في شفاعته لصاحبه يوم القيامة؛ قال النبيّ ﷺ: "**اقرءوا القرآن فإنَّه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**"[3]، ومن عظم فضله وبركته أنّ الله ﷻ جعل لمن قرأ منه في الصلاة أجراً عظيماً؛ وذلك أنّه كمن رجع إلى أهله بحمر

1 صحيح مسلم (1/ 545) حديث رقم (791)
2 سنن الترمذي (5/ 175) حديث رقم (2910)
3 صحيح مسلم (1/ 553) حديث رقم (804)

النّعم؛ وهي النوق الحوامل؛ لقوله ﷺ: "**أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان؟ قلنا: نعم، قال: "فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته، خير له من ثلاث خلفات عظام سمان**"[1]، ومن قرأ في صلاة الليل مئة آية، كتب عند الله ﷻ من القانتين، وكتب له قنوت ليلة؛ قال ﷺ: "**من قرأ في ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائتي آية كتب من العابدين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ أربعمائة آية أصبح له قنطار من الأجر، والقنطار مائة وعشرون قيراطاً، والقيراط مثل أحد**"[2]

وقد ورد في السنّة النبويّة الكثير من النصوص التي تدلّ على فضل القرآن، وشرف حامله، ومنها إشارة النبي ﷺ إلى أنّ حامل القرآن وقارئه محسود عليه؛ والحسد هنا بمعنى الغِبْطة المحمودة؛ إذ قال: "**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار**"[3]، وبالقرآن تُرفَع درجات قارئه في الجنّة؛ فتكون درجته في الجنّة بحَسب تلاوته للقرآن، وعمله به، ويُستحب أن يحافظ المسلم على حزب يقرؤه في الليل؛ فإن نام عنه، أو نسيه، قرأه قبل صلاة الظهر؛ لقوله ﷺ: "**من نام عن حزبه، أو عن شيء منه، فَقَرَأَهُ فيما بين صلاة الفجر، وصلاة الظهر، كتب له كأنَّما قرأه من الليل**"[4]

ووعد الله ﷻ من يقرأ القرآن، فيجوّده، ويرتله بالحشر مع الملائكة السَّفرة؛ والسَّفرة هم رسل الله ﷻ من الملائكة الذين يحصون أعمال العباد، ويرفعونها إليه ﷻ، قال

1 رواه مسلم (1/ 552) حديث رقم (802)
2 شعب الإيمان للبيهقي (3/ 496) حديث رقم (2008)
3 صحيح البخاري (9/ 154) حديث رقم (7529)، صحيح مسلم (1/ 558) حديث رقم (815)
4 صحيح مسلم (1/ 515) حديث رقم (747)

رسول الله ﷺ: "**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران**"[1]؛ فمن قرأه وهو صعب عليه، فله أجران، أمّا من قرأه قراءة سليمة، وحسَّن صوته في القرآن وتغنّى به، فقد أجزل الله ﷻ له المثوبة.

❖ما يُعين على قراءة القرآن الكريم:

أفرد العلماء العديد من الكتب والبحوث التي يتحدّثون فيها عن كيفيّة تدبُّر القرآن الكريم، والوسائل التي يتحصّل بها حُبّ القرآن الكريم في قلب العبد، وما يُعينه على الإقبال على تلاوته، ومن هذه الوسائل ما يأتي:

الوسيلة الأولى: الإقبال على الله ﷻ، واللجوء إليه، والاستعانة به، والتوكُّل عليه في تدبُّر كتابه، كما يجعل العبد للقرآن نصيباً من دعائه؛ فيسأل الله ﷻ أن يكون من أهل القرآن، وأن يرزقه حُبّه، والإيمان به، والأحرى به أن يُلحّ في المسألة، ويُكرِّرها حتى يفتح الله ﷻ عليه.

الوسيلة الثانية: معرفة فضل القرآن الكريم مِمّا ورد في القرآن نفسه من فضائل، إضافة إلى ما ورد من فضائله في السنّة النبويّة -وقد تمّ بيان ذلك فيما سبق-، والقراءة عن عَظَمته، ومكانته، والاقتداء بالصالحين من سَلَف الأُمّة في حالهم مع القرآن؛ فيُفرد في جدوله اليوميّ وقتاً مُخصَّصاً لحفظ النصوص والمتون التي تتحدّث عن القرآن، ثمّ يقرأ شَرْحها، ويفهمها، ويحاول تطبيقها.

الوسيلة الثالثة: استحضار الهدف من قراءة القرآن؛ فالنيّة هي التي تُميّز العمل، وإخلاص النيّة وعُلوّ الهمّة يعني عِظَم الأجر والثواب.

1 صحيح مسلم (1/ 549) حديث رقم (798)

❖ الأهداف التي يمكن أن يستحضرها القارئ عند قراءة القرآن، ما يأتي:

1. **تحصيل الثواب:** وقد ورد ذلك في قول النبيّ ﷺ: "**ألا وإني تارك فيكم ثقلين: أحدهما كتاب الله ﷻ، هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة**"[1]

2. **الاستزادة من العِلم:** وقد ورد ذلك في قوله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ ص: ٢٩؛ وذلك بفَهم زبدة القراءة، ومقصودها الأوّل والأعظم، وهي حاصل التدبُّر والتفكُّر في آيات القرآن، وهذا هو العلم الذي يُنجّي المسلم في دُنياه، وآخرته؛ فيتولّد فيه الدافع للعلم، وتزداد إرادته وعزيمته للعمل، ويتّخذه مرجعاً له في شؤونه كلّها، وفي ما يقع له من إشكاليّات، وأسئلة.

3. **شفاء القلب والبَدَن:** وقد ورد ذلك في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ يونس: ٥٧؛ فالقرآن شفاء للصدور ممّا يعتريها من هَمٍّ، وحُزن، وشفاءٌ للأبدان بالرُّقية الشرعيّة، وشفاءٌ للنفس، والقلب من أمراض الشَّهوات، والشُّبهات، كما تتحصّل الفائدة والشفاء بالقرآن بتلاوته في صلاة الليل، وفي آناء النهار، وسماعه في كلّ وقت وحِين.

4. **مناجاة الله ﷻ وسؤاله:** يستشعر المسلم حين يقرأ القرآن أنّ ربّه ﷻ يُخاطبه، وأنّه يسمعه، ويراه؛ فيسأل الله ﷻ بما يمرّ على خاطره من دعاء، ويسأل الله ﷻ

1 صحيح مسلم (4/ 1874) حديث رقم (2408)

الجنّة، ويستعيذ من النار إن مَرّ به ذِكْرهما.

5. العَمل بما ورد فيه: يبدأ المسلم بنيّة العمل بالقرآن أوّلاً، ثمّ يلتزم بالأوامر التي ذُكِرت فيه، ويجتنب المحرَّمات التي نُهِي عنها، ويتجمّل بمَكارم الأخلاق، وفضائل الأعمال التي وردت فيه، ويُصلح ما يراه من خَلَل في نفسه بما يقرؤه من الآيات.

❖أفضل وقت لقراءة القرآن الكريم:

هناك تفاضُل في الوقت المستحب لقراءة القرآن الكريم؛ فقراءته بعد الفجر أفضل منها آخر النهار؛ إذ إنّ قرآن الفجر مشهود كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ الإسراء: ٧٨، والشهود يعني: شهود ملائكة الليل وملائكة النهار جميعهم على صلاة الفجر؛ ففي ذلك الوقت تصعد ملائكة الليل، وتنزل ملائكة النهار، كما أنّ الفجر من الأوقات التي كانت مُحبَّبة إلى النبيّ ﷺ، وكان يقرأ فيه القرآن.

❖فَضْل قراءة القرآن الكريم والأدلّة عليه:

بيَّنَ أهل العلم أنّ تعلُّم القرآن الكريم، وقراءته، من أشرف العلوم، وأعظم الأعمال؛ فشرف العلم يتمثّل بشرف ما تعلَّق به، ولا يوجد ما هو أعظم من كلام الله ﷻ؛ فهو أصدق الكُتُب، وأحسنها نظاماً، وأفصحها وأبلغها كلاماً؛ لقَوْله ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: ٤١ - ٤٢، وقد أمر الله ﷻ عباده المؤمنين بتعلُّم القرآن الكريم، وقراءة آياته آناء الليل، وأطراف النهار؛ إذ قال ﷻ: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ المزمل: ٤، ويمكن الوقوف على بعض فضائل قراءة القرآن الكريم فيما يأتي:

1. وصف التالين له بالإيمان:

وردت الكثير من الآيات التي تدلّ على فَضْل قراءة القرآن الكريم، ومنها: قَوْل الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ البقرة: ١٢١، وقد ثبت أنّ رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك؛ فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنّه قال: "**أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا مَرَّ بآية خَوف تَعوَّذَ، وإذا مَرَّ بآية رحمة سأل**"[1]، **وعن الحسن البصري** أنّه قال: "هم الذين يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه"[2]

2. الحرز والحماية:

ومن الآيات التي تدلّ على فَضْل قراءة القرآن الكريم أيضاً قَوْل الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾ الإسراء: ٤٥، وقد **فسّر القشيريّ** الآية: "بحفظ الله ﷻ لقارئ القرآن الكريم في الدنيا والآخرة، وتولّيه؛ بمنع الأيادي الخاطئة من الوصول إليه"[3]

3. الأجر والثواب:

ومن فضائل قراءة القرآن الكريم نَيْل ما وعد الله ﷻ به عباده من الأجر، والثواب، ونعيم الجنّة؛ لقَوْله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ فاطر: ٢٩ - ٣٠

1 مسند أحمد (38/ 339) حديث رقم (23311)
2 بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادى (1/ 64)
3 لطائف الإشارات للقشيري (2/ 350)

وقد فسّر البغويّ الآية الكريمة بأنّ: "قارئ القرآن الكريم يرجو تجارةً لن تفسد، وهي وعد من الله ﷻ له بالأجر والثواب، وذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أنّ الزيادة في الفضل تعني: "سوى الثواب مما لم ترَ عين ولم تسمع أذن"[1]

❖فضل قراءة القرآن والأدلّة عليه من السنّة النبويّة:

وردت الكثير من الأحاديث التي تُبيّن عظم فضل قراءة القرآن الكريم، ويمكن بيان بعضها فيما يأتي:

1. تنزُّل السكينة:

أنّ السكينة تتنزّل على قارئ القرآن الكريم، ومن حيث لا يشعر تتنزّل الملائكة؛ لتُنصت وتستمع إلى قراءته؛ فعن البراء بن عازب ﷺ قال: "**كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين، فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: "تلك السكينة تنزلت للقرآن**"[2]

وقد فسَّر أهل العلم السكينة بأنّها: سحابةٌ من السماء فيها ملائكة الرحمن، ولو أنّ أُسيد بن حُضير ﷺ الذي ضرب أروع الأمثلة في إخلاص العبادة، وحبّ الله ﷻ ورسوله ﷺ استمرّ بالقراءة لنزلت الملائكة تُسلّم عليه، ولسلّموا على الناس.

2. عظم القَدْر:

أنّ لقارئ القرآن الكريم المخلص بقراءته لله ﷻ قدراً عظيماً في الدُّنيا والآخرة؛ فعن أبي موسى الأشعريّ ﷺ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: "**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن، مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ**

1 معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (6/ 420)
2 صحيح مسلم (1/ 547) حديث رقم (795)

القرآن مثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن، مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن، كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر"[1]

3. رفع المكانة في الدُّنيا:

إذ إنّ قراءة القرآن الكريم سبب لنيل المكانة الرفيعة في الدُّنيا، والأجر العظيم في الآخرة؛ فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ اللَّه يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين"[2]

4. نَيْل أعلى الدرجات في الجنّة:

حيث إنّ درجة قارئ القرآن الكريم في الجنّة تكون عند آخر آية يقرؤها؛ فعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يقال – يعني لصاحب القرآن – اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها"[3]

5. نَيْل الأجر العظيم والحَسَنات المضاعفة:

فقد ثبت في الحديث الصحيح ما يدلّ على عِظَم أجر قارئ القرآن الكريم، ووَفرة حَسَناته؛ فعن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم، أو يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ، خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل"[4]

6. نَيْل مكانة خاصة عند الله ﷻ:

1 صحيح مسلم (1/ 549) حديث رقم (797)
2 صحيح مسلم (1/ 559) حديث رقم (817)
3 سنن الترمذي (5/ 177) حديث رقم (2914)
4 صحيح مسلم (1/ 552) حديث رقم (803)

فقد ورد في السنّة ما يدلّ على عظم مكانة أهل القرآن الكريم عند الله ﷻ؛ لِما ورد عن رسول الله ﷺ: "إِنَّ لله أهلِين من الناس قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته"[1]

فقد بيّن الله ﷻ لعباده الصفة والكيفية التي ينبغي عليهم قراءة القُرآن بها، والتي أمر بها نبيه ﷺ، وهذه الصفة جاءت بقوله ﷻ: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ المزمل: ٤؛ أي بطُمأنينة مع مراعاة أحكامه؛ كالتفخيم والترقيق والمد وإخراج الحروف من مخارجها، وغير ذلك من الأحكام مع المداومة على قراءته؛ وذلك لما في هذه الصفة من تيسير فهمه وحفظه، وتسمّى هذه الكيفيّة بالتجويد، ومن خالفها أو أهملها؛ فقد خالف سُنّة النبي ﷺ وقرأه بغير الصفة التي أنزله الله ﷻ بها، وللقراءة الصحيحة ثلاثة أركان، وبيانها فيما يأتي:

الركن الأول: موافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه حتى وإن كان ضعيفاً؛ كقوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴿١٣٧﴾ ﴾ الأنعام: ١٣٧؛ فقرأ ابن عامر كلمة زُيّن بالمبني للمجهول، وكلمة قتل بضم اللام، وكلمة شركائهم بالكسر.

الركن الثاني: موافقة الرسم العثماني ولو احتمالاً؛ فموافقة الرسم قد تكون تحقيقاً أو تقديراً؛ كقوله ﷻ: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ الفاتحة: ٤، فكلمة مالك قرأها البعض بحذف الألف وهي قراءة محتملة اللفظ تحقيقاً، وقرأها البعض بإثبات الألف وهي قراءة محتملة تقديراً.

1 مسند أحمد (19/ 305) حديث رقم (12292)، سنن ابن ماجه (1/ 78) حديث رقم (215)

الركن الثالث: صحّة السند إلى النبي ﷺ وذلك عن طريق تواتره.

وتجدر الإشارة إلى أنّ اختلال أحد هذه الأركان يوجب كون القراءة شاذّة ولا يجوز القراءة بها.

ثانياً: واجبنا نحو القرآن:

1. الإيمان بالقرآن والتصديق به:

يجب على العبد المسلم الإيمان والتصديق بالقُرآن؛ وذلك لِما فيه من بيان لأصول العقيدة الثابتة، كتوحيد الله ﷻ، وإثبات نُبوّة الرسول محمّد ﷺ، وإثبات اليوم الآخر؛ فمَن صدَّق به، وبما جاء فيه، فقد أفلح ونجا في الدُّنيا والآخرة، ومَن كذّب به، فقد ارتكب جُرماً عظيماً، وعَرَّض نفسه للهلاك، والقرآن هو آخر الكُتب السماويّة، وأكملها، وقد أُنزِل بالحقّ بعد انقطاع الرُّسُل عليهم السلام فترة من الزمن، وسيبقى القرآن محفوظاً إلى يوم القيامة بحِفظ الله ﷻ.

2. تلاوة القرآن حَقّ التلاوة:

اهتمّ السَّلَف الصالح رضي الله عنهم بالقُرآن الكريم في جوانبه جميعها؛ سواء كان ذلك من حيث التحقيق، أو الإقراء، أو القراءة، كما أنّه بقي محفوظاً في صدورهم؛ تحقيقاً لوعد الله ﷻ الوارد في قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩، ومن واجب المسلمين تجاه القُرآن الحرص على تلاوته، وتجويده، وتدبُّر معانيه، وفَهْمها؛ من خلال الاهتمام بعلم التجويد، ومعرفة أحكامه؛ سواء بالاستماع إلى مَن يُجيد تلاوته، أو بقراءته على شيخ متقن، أمّا تلاوته حقّ التلاوة، فتكون بإشراك اللسان بتصحيح حروفه بالترتيل، والعقل بتفسير معانيه، والقلب بالعظة والتأثُّر بكلماته ومعانيه؛ فاللسان يُرتِّل، والعقل يترجم، والقلب يَتَّعِظ.

واجبنا نحو القرآن الكريم...

لقد شرّف الله ﷻ القُرآن على باقي الكتب السماويّة السابقة، وذلك بحفظه، ورتّب على قارئه وحافظه الأجر العظيم؛ فمن واجب الأُمّة تجاهه المسارعة إلى تلاوته والبُعد عن هجره، والمشاركة في حفظه؛ لما في ذلك من الفضائل والفوائد؛ فهو كلام الله ﷻ، وهو المرجع عند الخلاف، كما أنّ في ذلك اقتداءً بالنبي ﷺ الذي كان يداوم على تلاوته وحفظه، واقتداءً بالصحابة الكرام رضي الله عنهم.

واجبنا نحو القرآن الكريم:

إن هذا الكتاب الشريف المنزل على خير الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، والذي فيه نور وشفاعة وخير لكل المسلمين، لا بد أن يكون له حق على المسلمين في كل مكان، ويجب أن يقوم كل مسلم بأداء واجبه تجاه هذا القرآن، لا أن يقوم بهذا الواجب البعض دون غيرهم، فمن تدبر القرآن وقرأه وتمعن في آياته، سيشعر بعظم هذه المسؤولية تجاه القرآن الكريم وتجاه الرسول ﷺ والذي حمل الرسالة في حياته ودافع عنها ونشرها بين الناس.

أوّل ما يجب أن يقوم به كل مسلم ومسلمة هو التصديق واليقين بكل حرف في هذا القرآن الكريم، فهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا التصديق لا يكون بالكلام فقط، إنما بالتطبيق، أي أن يقرأ المسلم القرآن ويفهمه ويفهم أوامر الله ﷻ فيه، ويطبقها في حياته العملية، وعندها يكون مصدقًا للقرآن بالقول والفعل، ومن المهم الالتزام باحترام القرآن الكريم وتعظيمه وعدم لمسه دون وضوء وطهارة.

عند قراءة القرآن يجب أن يقرأ المسلم قراءة واضحة سليمة صحيحة خالية من الأخطاء؛ لأن القراءة الضعيفة قد تُغيّر معنى الآيات، وهذا غير مقبول مع القرآن الكريم؛ لأن الكلام الموجود فيه هو كلام الله ﷻ، فلا بد من تلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة متقنة بعيدة عن أي خطأ، وكثيرة هي المصادر التي يمكن أن يستعين بها الإنسان المسلم ليتدرب على قراءة القرآن قراءة صحيحة.

من المهم أن يتعلم المسلم القرآن بقراءته ومعانيه وتفسيره وتجويده، ثم يعلّم ما تعلمه لمن بعده، وهذا يجعل الإنسان يرقى بمرتبته عند الله ﷻ، وينال أجرًا عظيمًا وثوابًا كبيرًا، لكن فلينتبه كل مسلم إلى أن تعليم القرآن حتى يكون له الأجر والثواب العظيم ينبغي أن يكون دون مقابل مادي أو معنوي، أي لا يكون في نيّته أن يعلّم القرآن لكي يُقال عنه أنه فعل كذا وكذا.

لمزيد من الأجر والثواب ينبغي أن يُنشر هذا القرآن في كل العالم، وليس بين المسلمين فقط، وطرق نشر القرآن وتعليمه للعالم كثيرة، منها ما يكون بتوزيعه بين الناس دون مقابل، ومنها ما يكون بتشغيل صوت القرآن في الأماكن التي تزدحم بالناس، وأحيانًا يكون نشره من خلال الأخلاق والتعامل مع البشر وإن كانوا غير مسلمين، وبهذا يتضح للآخرين عظمة الدين الإسلامي وأهمية القرآن في حياة المسلمين وتغييرها وبناء القيم والمبادئ عندهم.

❖ من أهم واجباتنا نحو القرآن الكريم:

1. الإيمان بالقرآن: قال ﷻ واصفاً المتّقين: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴿٤﴾ ﴾ البقرة: ٤، وقال ﷻ عن القرآن: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

﴿ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ البقرة: ١٢١، فالإيمان به هو اعتقاد أن جبريل عليه السلام أنزله بأمر الله ﷻ من اللوح المحفوظ على قلب نبينا محمد ﷺ، وأنه ليس من قول البشر، وأنه كله الحق ومحفوظ من أن يُحَرَّف ولو حرفاً منه. ومن أدلة كونه كلام الله ﷻ حقاً: عظمتُه وإعجازُه في العلوم الكونية التجريبية؛ (كالطّب والفَلَك والرياضيات والجيولوجيا...)، وفي التشريع واللغة.

2. **التلاوة**: فقد أمرنا الله ﷻ بقراءته: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴿٢٠﴾﴾ المزمل: ٢٠، وأن تكون بالتجويد كما قرأه رسول الله ﷺ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ المزمل: ٤، وهذه التلاوة على مستويين:

المستوى الأول: الورد اليومي: وكان كثير من السلف الصالح رضي الله عنهم يكرهون أن يمضي على المسلم يوم لا ينظر في مصحفه. فلا بد من الختمة من أول القرآن إلى آخره على مدار أيام السنة بتحديد حد أدنى كخمس صفحات أو أقل أو أكثر يومياً.

المستوى الثاني: التأمل والتدبر: ومقدار تلاوة التأمل غير محدد فقد تكون آية واحدة، وقد تكون في الصلاة، وقد يكون التأمل بسماع التلاوة من آخرَ أو في إذاعة.

3. **الحفظ**: هل سمعت حديث النبي ﷺ: "**إنَّ الذي ليس في جوفه شيءٌ من القرآن كالبيت الخرب**"[1]، والحفظ على درجتين:

الدرجة الأولى: حفظ كل القرآن الكريم.

1 مسند أحمد (3/ 417) حديث رقم (1947)، سنن الترمذي (5/ 177) حديث رقم (2913)

الدرجة الثانية: حفظ سُور مختارة ومقاطع تكثر حاجته إلى ما فيها من عبرة، أو عقائد وأحكام، أو رُقْية.

4. الفَهْم: فالاهتداء بالقرآن الكريم لا يكون إلا بعد فهم هَدْيه؛ قال ﷻ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ ق: ٣٧.

والفهم على درجتين:

الدرجة الأولى: فَهم المعاني الواضحة لألفاظ القرآن، والأحكام التي تفيدها جُمَلُهُ كما فهمها المفسرون والفقهاء في الكتب المختصرة للتفسير.

الدرجة الثانية: الفهم العميق لمعاني الآيات، وجماليات الألفاظ (لماذا استخدمت هذه الكلمة دون غيرها؟ ما الحكمة من هذا الترتيب؟)، ومعرفة الإشارات الخفية والإعجاز.

5. العمل به: وهو ثمرة ونتيجة الإيمان بالقرآن وفهمه؛ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "**كان الرجل منّا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيَهنّ والعمل بهنّ**"[1]

وروي عن ابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم أن معنى "حق التلاوة" في قوله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴿١٢١﴾ ﴾ البقرة: ١٢١

أي: يتّبعونه حق اتّباعه"[2]، والعمل بالقرآن على مستويين:

المستوى الأول: عمل الفرد: كالإيمان، وأداء الصلاة، والزكاة، وحسن الخُلُق، والمعاملة الطيبة، وغير ذلك مما يستطيع الإنسان تطبيقه بمفرده ولو عاش تحت حكم

1 جامع البيان للطبري (1/ 74)
2 جامع البيان للطبري (2/ 487)

غير إسلامي أو في مجتمع غير مسلم.

المستوى الثاني: عمل الأمة: وهو تحكيمه دستوراً للدولة وتطبيق عدالته وتشريعاته، ونشر رحمته وبركاته في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية والقضاء وكل نواحي الحياة، كاملة دون تشديد أو تساهل؛ قال ﷻ يأمر نبيه ﷺ: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴿٤٩﴾ ﴾ المائدة: ٤٩

6. التعليم والتبليغ: فإن من ميزات هذه الأمة أنها آخر الأمم فنبيُّها خاتمُ الأنبياء، وعليهم حَمْل رسالته من بعده تكليفاً وتشريفاً؛ قال ﷻ: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴿١١٠﴾ ﴾ آل عمران: ١١٠، وقال ﷺ: "**بَلِّغوا عني ولو آية**"[1]، "**خيركم مَنْ تعلّم القرآنَ وعلَّمه**"[2] وهو أمْر عامّ: فيه تعليم المسلمين؛ مَنْ طلب ومن لم يطلب، وفيه تبليغ غير المسلمين أيضاً.

فما الواجب علينا تجاه القرآن الكريم؟

أولاً: قراءة القرآن:

أمرنا الله ﷻ بقراءة القرآن، ووعد على ذلك الثواب الجزيل، أما الأمر بالقراءة فقد جاء في قوله ﷻ: ﴿ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ النمل: ٩٢، وقوله ﷻ: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾

1 صحيح البخاري (4/ 170) حديث رقم (3461)
2 صحيح البخاري (6/ 192) حديث رقم (5027)

المزمل: ٤، وقوله ﷻ: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٦

ثانياً: الاستماع والإنصات للقرآن:

أمر الله ﷻ بذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٤، وقال ﷻ: ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾ طه: ١٣، فمن استمع إلى القرآن الكريم كانت الرحمة قريبة منه، وكان إلى الهداية أقرب، ولهذا حرص الكفار على عدم تمكين الناس من سماع القرآن الكريم، حتى لا يؤمنوا به، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ فصلت: ٢٦

ثالثاً: تدبر القرآن وفهمه:

قال ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢، وقال أيضاً: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: ٢٤، ففي هذه الآيات دعوة إلى تدبر القرآن الكريم والتعايش مع آياته والحرص على فهمها، ففي ذلك الخير الكثير، الذي يفوز به أهل الإيمان، ولا يدركه أهل الحرمان، فقد قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾ الإسراء: ٤٥؛ أي أن الذين لا يؤمنون بالآخرة يوضَع بينهم وبين القرآن حجاب يمنعهم من فهمه والتحقق بهداياته وتوجيهاته.

رابعاً: التأدب مع القرآن:

القرآن الكريم كتاب الله ﷻ الذي يتميز بالجلال والهيبة، فلا بد من التأدب معه وتقديره حق قدره، ومن مظاهر الأدب مع القرآن: الطهارة عند قراءته، فقد قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الواقعة: ٧٧ - ٧٩، كما يجب الخشوع عند تلاوته، فقد قال ﷻ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴿٢١﴾ ﴾ الحشر: ٢١، أما من اتخذ القرآن الكريم وسيلة للاستهزاء واللعب فهو الآثم حقًا، حيث حذّر الله ﷻ من ذلك في قوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ التوبة: ٦٥ – ٦٦

خامساً: الاستهداء بالقرآن:

الاستهداء يعني: طلب الهداية، فالمسلم يتحرى هدايات القرآن الكريم، ويبحث عنها، ويعمل بها، حيث قال ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴿٩﴾ ﴾ الإسراء: ٩، فالقرآن يهدي أهله إلى الصراط المستقيم، ويجلب لهم السعادة، ويحميهم من الشقاوة، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ طه: ١ – ٣

سادساً: التمسك بالقرآن والعمل به:

دعا الله ﷻ إلى ذلك بقوله: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ الزخرف: ٤٣، وقوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ طه: ١١٣، فالقرآن الكريم هو المنهج السليم والكتاب القويم الذي يهدي من تمسك به إلى الصراط المستقيم.

سابعاً: الدعوة بالقرآن:

المسلم يحرص على دعوة الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، فهو يدعوهم بالقرآن إلى التمسك بالإسلام، حيث قال ﷻ: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٩، وقال ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴿٧﴾ ﴾ الشورى: ٧، وقد أمر الله ﷻ المسلم أن يُذَكِّر الناس بالقرآن، وأوضح أنه لا يتذكر به إلا من يخاف الله ﷻ وعذابه، حيث قال ﷻ: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ ق: ٤٥

ثامناً: تعليم القرآن:

أخبر الله ﷻ أنه علّم القرآن، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ ﴾ الرحمن: ١ - ٢، وإن تعليم القرآن يجعل صاحبه من خير الناس، فعن عثمان بن عفان ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: "خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه"[1]

1 صحيح البخاري (6/ 192) حديث رقم (5027)

تاسعاً: الاستشفاء بالقرآن:

القرآن شفاء للمؤمنين، حيث قال ﷻ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الإسراء: ٨٢، فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، فعلى المسلم أن يداوي قلبه، بل يداوي بدنه أيضاً، من خلال الرقية بآيات القرآن الكريم، وقد وردت الأحاديث بكيفيات متنوعة فمنها: أن يقرأ القرآن أو الدعاء ثم ينفث في يديه –والنفث عبارة عن نفخ مع ريق يسير– ثم يمسح بهما الجسد أو مكان الألم، ومنها أن يضع يده على محل الألم وقت الرقية، فعن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه أنَّه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده في جسدِه منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: "**ضع يدك على الذي تألَّم من جسدك، وقل: باسم الله، ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ باللَّه وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**"[1]

عاشراً: الدفاع عن القرآن:

القرآن الكريم لا اختلاف فيه ولا تناقض، وفي هذا يقول الحق ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢، وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الزمر: ٢٧ - ٢٨، كما أن القرآن الكريم لا يمكن أن تمتد إليه يد التحريف أو التبديل، حيث قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: ٤١ - ٤٢، وقال ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ

1 صحيح مسلم (4/ 1728) حديث رقم (2202)

ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ يونس: ٣٧ - ٣٨

فالمسلم لا يترك شبهات الأعداء حول القرآن الكريم دون أن يرد عليها، بل إنه ينقدها وينقضها من خلال الاستناد إلى القرآن الكريم والعقل السليم، قال ﷻ:

﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الأنبياء: ١٨

فعلى كل مسلم أن يقرأ القرآن الكريم ويسمعه ويفهمه ويتدبره ويتأدب معه ويهتدي ويستشفي ويتمسك به ويدافع عنه ويعَلِّمه الناس ويدعوهم إليه.

خصائص القرآن

أولاً: خصائص القرآن الكريم المتعلقة بالإيمان به:

يؤمن المسلم بأنّ القرآن الكريم منزّل من عند الله ﷻ، وهو شرط من شروط الإيمان، والذي يتطلّب أن يعتقد المسلم أنّ:

1. القرآن الكريم جاء لدعوة الإنس والجنّ عامّة إلى توحيد الله ﷻ، وأنّ شريعته شاملة للجميع، ولا يسعهم إلّا أن يتّبعوا ما أنزل فيه؛ قال ﷻ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ الفرقان: ١

2. القرآن الكريم ناسخ لما سبقه من الكتب السماويّة، وأنّ على الجميع أن يتّبعوا ما أُنزل فيه، ولا يعبدوا الله ﷻ بغيره، ولا يطلبوا الهداية من غيره؛ فالحقّ ما ورد فيه من حلال، وحرام، وغيره؛ قال ﷻ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴿٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ٨٥

3. القرآن الكريم تضمّن الشريعة السَّمحة اليسيرة، والتي أسقط الله ﷻ بها كثيراً من الأغلال والآصار؛ قال ﷻ: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٧

4. القرآن الكريم دستور الله ﷻ، وشريعته التي أنزل فيها كل ما يحتاج إليه الناس في أمور دينهم، ودنياهم، وآخرتهم؛ قال ﷻ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النحل: ٨٩

5. القرآن مُيسَّر من عند الله ﷻ لمن أراد أن يتّخذه تذكرةً، ولمن أراد أن يتدبَّره؛ قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ القمر: ١٧؛ فقد يَسَّر الله ﷻ لقارئ القرآن لفظ القرآن، ومعانيه، وتلاوته، والاعتبار بما فيه من مواعظ.

6. القرآن يشترك مع غيره من الكتب التي أنزلت على الرُّسل عليهم السلام بأصول، وشرائع، وتعاليم واحدة؛ قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾ ﴾ المائدة: ٤٨

7. القرآن سابق لغيره؛ بتناوله قصص وأخبار الأمم السابقة بشكل تفصيلي؛ قال ﷻ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ هود: ١٢٠، وهو خاتم الكتب السماويّة، كما أنّه شاهد عليها.

8. القرآن معجز لغيره؛ فلا تستطيع الجن، ولا الإنس أن يأتوا بمثله؛ إذ أنزل الله ﷻ في القرآن عدداً من الآيات الكريمة التي تتحدّى الناس أن يأتوا بمثل القرآن، أو أن يأتوا حتى ببعض منه؛ فقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الطور: ٣٣ - ٣٤

ولما عجزوا عن ذلك، قال ﷻ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ هود: ١٣، فعجزوا عن ذلك أيضاً، فخفَّف عنهم، وتحدّاهم بسورة واحدة، حتى ولو كانت من

قصار السور؛ قال ﷻ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يونس: ٣٨

إلّا أنّهم عجزوا عن ذلك أيضاً؛ وهذا دليل على أنّ القرآن معجز بطوال السور، وقصارها على حد سواء، ومع وضوح هذه المعجزة وقدرة الأذهان على إدراكها وقراءتها، يتبيّن أنّ الإعجاز من أهم خصائص هذا الكتاب.

ثانياً: خصائص القرآن الكريم المتعلقة بفضله ومكانته:

تعد تلاوة القرآن الكريم، والمداومة على النَّظر فيه، والتّمعّن في آياته، سبباً من أسباب فهمه، والعمل بما جاء فيه، ولا يخفى أنّ تلاوة القرآن والمداومة عليها سُنّةٌ من سنن الإسلام، وامتثال لأمر الله ﷻ حيث يقول: ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ المزمل: ٢٠، فتلاوته عبادة عظيمة، وسبب في ارتقاء العبد في مراتب الدُّنيا والآخرة، وقربة جليلة يترتّب عليها أجر عظيم، حيث ينال من اجتهد في ترتيل سور القرآن وآياته، وجوّد بها صوته، ينال مكانة عليّة ودرجة رفيعة، فعن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال: "**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران**"[1]

وقد وعد الله ﷻ في كتابه قرّاء كتابه العزيز بأنْ يُوفّيهم أجورهم في الآخرة؛ فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ فاطر: ٢٩ – ٣٠

1 صحيح مسلم (1/ 549) حديث رقم (798)

ثالثاً: خصائص القرآن الكريم المتعلقة بحفظه:

اعتنى الصحابة الكرام ﷺ عناية شديدة بحفظ القرآن الكريم، وتدوينه؛ فحرصوا على تدوينه في المصاحف، وتجريده عن أيّ شيء ليس منه، وقد نقل من جيل إلى جيل بالتواتر مكتوباً في المصاحف.

والقرآن عند أهل السنّة مُتواتر قطعاً وليس آحاداً؛ فهو متواتر في أصله، وفي أجزائه، وفي وضعه، وترتيبه، وقد حرص الصحابة ﷺ على كتابة المتواتر، وحفظه؛ لأنّ القرآن متضمن التحدّي، وهو موطن الأحكام، والشرائع، ومقتضى التعبُّد؛ ولهذا تقتضي أهميته أن يكون التواتر قطعيّاً.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الوسيلة الأساسيّة في تلقّي القرآن الكريم كانت ولا زالت تلقّيه بالمشافهة، وهي واحدة من أهم سمات وخصائص القرآن التي تميّز بها عن الكتب السماويّة السابقة، وغيرها من الكتب، وتعلُّم المسلم القرآن بالمشافهة، وحفظه بالتلقّي يعني أنّ له سنداً بالقرآن يتّصل بالنبي ﷺ، ومنه إلى جبريل عليه السلام، عن الله سبحانه وتعالى.

ونظراً لأنّ القرآن منقول عبر القرون السابقة حتى العصر الحاضر بالتواتر القاطع، وأنّه معجز بلفظه، ومعناه معاً، فقد اتّفق العلماء على أنّ روايته بالمعنى دون التقيُّد بلفظه غير جائز، واتّفقوا على حرمة تعمُّد تبديل أيّ حرف، أو كلمة، أو جملة، أو آية من القرآن، ولا يجوز تبديل لفظ في القرآن بآخر حتى ولو كان عربيّاً يُؤدّي المعنى نفسه.

وقد ذهب ابن حزم إلى أنّ قراءة القرآن داخل الصلاة أو خارجها بلغة غير العربية أو بلفظ مخالف لما أنزله الله ﷻ غير جائز، ويكون فاعلها فاسقاً بذلك الفعل.

كما يسَّر الله ﷻ برحمته وقدرته على المسلمين حفظ القرآن الكريم في الصدور، إلى جانب يُسر تلاوته، وعلى مرّ العصور وتعاقب الأزمان سخّر الله ﷻ للقرآن من يحفظونه غيباً، عن ظهر قلب واعٍ، وأكرم الله ﷻ الكثيرين من المسلمين بالتّمكن من حفظه، حتى من غير العرب، وبعضهم يحفظه بإتقان دون فهم لمعانيه؛ قال ﷻ في ذلك: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ ﴾ الأعلى: ٦ - ٨

رابعاً: خصائص القرآن الكريم المتعلقة بأسلوبه:

تميّز القرآن الكريم بخصائص متعلقة بأسلوبه البياني واللغوي، ومن هذه الخصائص ما يأتي:

1. القصد في اللفظ والوفاء بحقّ المعنى:

وهي خاصّية انفرد بها القرآن عن غيره من الكتب كافّة؛ فهو يعبّر عن أكبر قدر من المعاني في أقل عدد من الألفاظ.

2. الخطاب العام والخاص:

إذ راعى القرآن اختلاف أفهام الناس وعقولهم؛ فهو يحتوي على الخطاب الذي يفهمه الناس جميعهم، والخطاب الذي لا يفهمه إلّا أهل العلم والاختصاص وذوي العقول.

3. الاقناع العقليّ والإمتاع العاطفيّ:

إذ يُوفي القرآن بحاجة هذَين العنصرَين في نفس الإنسان، دون أن يكون هناك نقص في أيّ منهما.

4. البيان والإجمال:

فيفصل القرآن القصص والأحداث في بعض مواطنه، ويوجز في مواطن أخرى، وكل ذلك بحكمة وعلم من الله ﷻ

خامساً: خصائص القرآن العامة:

1. كتاب أحكمت آياته:

أولى خصائص القرآن الكريم أنه كتاب الله ﷻ؛ الذي يتضمن كلماته إلى خاتم رسله وأنبيائه محمد ﷺ، فهو إلهيُّ المصدر: لفظاً ومعنًى، أوحاه الله ﷻ إلى رسوله ونبيه محمد ﷺ عن طريق الوحي الجلي، وهو نزول الرسول الملكي جبريل عليه السلام على الرسول البشري محمد ﷺ، وليس عن طرق الوحي الأخرى من الإلهام أو النفث في الرّوع، ومن الرؤيا الصادقة أو غيرها، قال ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ هود: ١، وقال ﷻ يخاطب رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ النمل: ٦، وقال ﷻ: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝١٠٥﴾ الإسراء: ١٠٥

وقد اقتضت حكمةُ الله ﷻ أنْ ينزّله منجماً وفقاً للحوادث؛ ليكون أرسخ في مواجهة المحن والشدائد التي تنزل به وبأصحابه، كما قال ﷻ: ﴿وَقَالَ

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الفرقان: ٣٢ - ٣٣

حكمة أخرى، من خصائص القرآن الكريم، وهي أنْ يقرأه الرسول الكريم على المؤمنين به على مهل، وحيث يستوعبونه حفظاً وفهماً وعملاً، كما قال ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٦

والقرآن عند الله ﷻ كتاب معلوم أوله وآخره، مسجَّل في أم الكتاب، أو اللوح المحفوظ، أو الكتاب المكنون، كما صرّح بذلك القرآن نفسه: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ الزخرف: ١ - ٤، وقال ﷻ: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ البروج: ٢١ - ٢٢، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الواقعة: ٧٧ – ٨٠، وأيُّ قارئ للقرآن ـ له عقل وحسٌّ ـ يستيقن أنّه ليس كلام بشر، وأنّه متميز عن كلام الرسول ﷺ؛ الذي يتمثّل في الحديث النبوي، وإن كان في ذروة البلاغة البشرية، وإنّ وجود آية قرآنية ضمن حديث نبوي، يجعل لها نوراً خاصاً يحسّ به من يقرؤها أو يسمعها، ويشعر أنّها ليست من جنس ما قبلها وما بعدها.

ومن روائع ما **قال ابن القيم** عن الخطاب القرآني: "تأمّل في خطاب القرآن تجد ملكاً له الملك كله، وله الحمد كله، أزمّة الأمور كلّها بيده، ومصدرها

منه، وموردها إليه، مستوياً على العرش، لا تخفى عليه خافية من أقطار مملكته، عالماً بما في نفوس

عبيده، مطّلعاً على أسرارهم وعلانيتهم، منفرداً بتدبير المملكة، يسمع ويرى، يعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقدر ويقضي ويدبر، الأمور نازلة من عنده دقيقها وجليلها، وصاعدة إليه، لا تتحرك ذرةٌ إلا بإذنه، ولا تسقط ورقةٌ إلاّ بعلمه، فتأمل كيف تجده يثني على نفسه، ويمجّد نفسه، ويحمد نفسه، وينصح عباده، ويدلّهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم، ويرغّبهم فيه، ويحذّرهم ممّا فيه هلاكهم، ويتعرّف إليهم بأسمائه وصفاته، ويتحبّب إليهم بنعمه وآلائه، يذكرهم بنعمه عليهم، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها، ويحذّرهم من نقمه، ويذكرهم بما أعدّ لهم من الكرامة إن أطاعوه، وما أعدّ لهم من العقوبة إن عصوه، ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء، ويثني على أوليائه لصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم، ويذمّ أعداءه بسيّئ أعمالهم، وقبيح صفاتهم، ويضرب الأمثال، وينوع الأدلة والبراهين، ويجيب على شبه أعدائه أحسن الأجوبة، ويصدق الصادق، ويكذب الكاذب، ويقول الحق ويهدي السبيل، ويدعو إلى دار السلام، ويذكر أوصافهم وحسنها ونعيمها، ويحذّر من دار البوار، ويذكر عذابها وقبحها وآلامها، ويذكّر عباده بفقرهم إليه، وشدّة حاجتهم إليه من كل وجه، وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين، ويذكرهم بغناه عنهم وعن جميع الموجودات، وأنه الغني بنفسه عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه"[1]

1 الفوائد لابن القيم ص 28

2. الحفظ الإلهي للقرآن الكريم:

ومن خصائص القرآن الكريم أنّه كتاب محفوظ، تولّى الله ﷻ حفظه بنفسه، ولم يكل حفظه إلى أحد، كما فعل مع الكتب المقدسة الأخرى.

وقد نوّه الله ﷻ بعظمة القرآن بذكر حفظه قبل نزوله في آيات، منها:

قوله ﷻ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦ ﴾ عبس: ١١ - ١٦

وأمّا حفظ الله ﷻ للقرآن أثناء نزوله؛ فيدل عليه قوله ﷻ: ﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ١٠٥ ﴾ الإسراء: ١٠٥

وأمّا حفظ الله ﷻ للقرآن بعد نزوله؛ فيدل عليه قوله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ الحجر: ٩

والصيغةُ تدلُّ على التأكيد من عدّة أوجه يعرفها دارسو العربية، منها: اسمية الجملة، وتأكيدها بحرف إن، ودخول اللام المؤكدة على الخبر (لحافظون) ولحفظ الله ﷻ إياه فقد بقي كما هو: طوداً أشم، عزيزاً لا يقتحم حماه، وكل محاولة لتغيير حرف منه مقضي عليها بالفشل، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢ ﴾ فصلت: ٤١ - ٤٢، وقد هيأ الله ﷻ للقرآن العظيم ظروفاً تختلف عن الكتب السابقة فحفظه دونها، ومن ذلك:

1. هيّأ أمة قوية في ذاكرتها وحافظتها، ذلك أنَّ العرب الأوائل في جاهليتهم كانوا متمكنين من ذلك، حيث يروون ألوفاً من أبيات الشعر من غير تدوين، إنما يعتمدون في ذلك على الحفظ.

2. هيّأ للقرآن العظيم سهولة الحفظ، قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ القمر: ١٧

3. هيّأ له أمة مستقرة ممكنة في الحفظ والفهم، والأمانة، فكان الحفاظ يحفظونه على يدي رسول الله ﷺ حتى يُتقِنُوا الحفظ، ثم يدوّنونه بعد ذلك، ويقف عليهم بنفسه في مراجعة ذلك.

4. هيّأ له مراجعة النبي ﷺ له في الملأ الأعلى، حيث كان يحفظ ما يوحي إليه، ثم يراجعه على جبريل عليه السلام مرة كل سنة، وفي السنة الأخيرة من حياته المباركة راجع جبريل عليه السلام القرآن كله على رسول الله ﷺ مرتين.

5. بعد الفراغ من تدوينه لم يعد هناك مجال لعبث عابث، وظلَّ الحفّاظُ المتقنون يراجعون كل نسخة تكتب من المصحف مراجعةً فاحصةً، ولما أصبح للمصحف مطابع خاصة، كونت لجان متخصصة ومتأهلة من كبار حفاظ العالم الإسلامي، تراجع وتدقق كل حرف منه قبل أن تأذن بطبعه.

وبهذه الوسائل تحقّق للقرآن العظيم ذلك الحفظُ الذي قدّره الله ﷻ له منذ الأزل، وهو اللوح المحفوظ، وأنجز وعده الصادق: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩، وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة، وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى.

3. القرآن الكريم كتاب معجز:

ومن خصائص القرآن الكريم: الإعجاز، فهو المعجزة الكبرى لمحمّد ﷺ؛ التي لم يتحدّ العرب بغيرها، برغم ما ظهر على يديه من معجزات لا تحصى.

لما زعم المشركون أنّ محمداً ﷺ هو الذي ألّف القرآن، قال ﷻ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الطور: ٣٣ - ٣٥، فعجز جميع الخلق أن يعارضوا ما جاء به، ثم سجَّل على الخلق جميعاً العجز إلى يوم القيامة بقوله ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "**ما من الأنبياءِ نبيٌّ إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**"[1]

إنَّ معجزات الأنبياء عليهم السلام تتماثل من حيث أنّها حسية ومخصوصة بزمنها، أو بمن حضرها، أو منقرضة بانقراض من شاهدها. أمّا معجزةُ نبينا محمد ﷺ فهي القرآن الكريم، الذي لم يعطَ أحد مثله، وهو أفيدها وأدومها، لاشتماله على الدعوة والحجة، واستمرار تحديه في أسلوبه وبلاغته ومعانيه وأخباره، وعجز الجنُّ والإنس عن أن يأتوا بسورة مثله مجتمعين أو متفرّقين في جميع الأعصار، مع اعتناء معارضيه بمعارضته فلم ولن يقدروا، فعمَّ نفعه من حضر ومن غاب، ومن وجد ومن سيوجد إلى آخر الدهر، ولذلك فإنَّ محمّداً ﷺ أكثر الأنبياء عليهم السلام أتباعاً.

1 صحيح البخاري (6/ 182) حديث رقم (4981)، صحيح مسلم (1/ 134) حديث رقم (152)

هذا شرح للحديث على وجه الإجمال، وأمّا أسباب اختصاص نبينا محمد ﷺ عن سائر الأنبياء عليهم السلام بهذه المعجزة الظاهرة، **فيبيّنها الماوردي** فيقول: "لثلاثة أسباب صار بها من أخص إعجازه، وأظهر آياته:

1. إنّ معجز كل رسول موافق للأغلب من أحوال عصره، والشائع المنتشر من ناس دهره، فلمّا بعث نبينا محمّد ﷺ في عصر الفصاحة والبلاغة خُصَّ بالقرآن في إيجازه وإعجازه، بما عجز عنه الفصحاء، وأذعن له البلغاء، وتبلّد فيه الشعراء، ليكون العجز عنه أقهر، والتقصير فيه أظهر، فصارت معجزاته . وإن اختلفت . متشاكلة المعاني، مختلفة العلل.

2. إنّ المعجزة في كل قوم بحسب أفهامهم، وعلى قدر عقولهم وأذهانهم... والعرب أصحُّ الناس أفهاماً، وأحدهم أذهاناً، فخصّوا من معجزات القرآن بما تحول فيه أفهامهم، وتصل إليه أذهانهم.

3. وهذه المعجزة جمعت بين الدليل لما فيه من الإعجاز وغيره من وجوه الدلالة، وبين المدلول بما فيه من بيان الإيمان وأدلته، وبيان الأحكام الشرعية والقصص والأمثال، والوعد والوعيد، وغير ذلك من علومه التي لا تنحصر، ثم جعل مع حفظه وتلاوته من أفضل الأعمال التي يتقرّب بها إلى الله ﷻ... ولهذا توفّرت الدواعي على حفظه على مرّ الدهور والأعصار، ففي كل قرن ترى من حفظته ما يفوت العدَّ والإحصاء، ويستنفد نجوم السماء، ومثل ذلك لم يتفق لغيره من الكتب الإلهية المقدسة"[1]

1 أعلام النبوة للماوردي ص 73 - 74

4. هيمنته على الكتب السابقة:

أصل الهيمنة: الحفظ والارتقاب يقال: إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده قد هيمن فلان عليه، وتقول: هيمن فلان على فلان إذا صار قريبًا عليه فهو مهيمن، ويسمى الحاكم على الناس والقائم بأمورهم المهيمن، فالكتاب المهيمن هو الكتاب الشاهد على الكتب السابقة وشاهد على أنها حق من عند الله ﷻ، والقرآن الكريم قد جاء مصدّقًا لما فيها من الصحيح فقد قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾ ﴾ المائدة: ٤٨، **قال ابن تيمية**: "السلف كلهم متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة"[1]

5. صادر من عند الله ﷻ؛ لقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢

6. متكلّمه هو الله ﷻ، وهذه من أهمّ خصائصه التي وردت في قوله ﷻ: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التوبة: ٦

7. نزوله مُفرّقاً على مدار الدعوة؛ مدّة ثلاث وعشرين سنة بخلاف الكُتب السماويّة السابقة التي كانت تنزل دُفعة واحدة؛ فكان المشركون يتعجّبون من ذلك، وذكر الله ﷻ ذلك بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الفرقان: ٣٢

1 مجموع الفتاوي لابن تيمية (17/ 43)

8. شمول رسالته لجميع الخلق، قال ﷻ: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ القلم: ٥٢،

كما ودلّ القرآن الكريم على خيريّ الدُنيا والآخرة، وحذّر من الشر، قال ﷻ: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنعام: ٣٨

سادساً: خصائص القرآن الخاصة:

المبحث الأول: اشتمال القرآن على أخبار غيبية:

المطلب الأول: الأخبار الغيبية المتعلقة بالماضي:

منها: الإخبار عن خلق السماوات والأرض، وآدم عليه السلام، وقصة إبليس، وقصص الأنبياء عليهم السلام السابقين، ووجه الغيب فيها أن النبي ﷺ كان أمياً لا يعرف القراءة، فلم يعهد عنه أنه قرأ في كتب أهل الكتاب، أو تلقى درساً عن أحد منهم، أو خالطهم، ولم يكن أحد من قومه يعلم شيئاً من تلك الأخبار الماضية، قال ﷻ: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴿٤٩﴾ ﴾ هود: ٤٩، وقال ﷻ في قصة موسى عليه السلام: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ القصص: ٤٤ - ٤٦،

وقال ﷻ في قصة مريم عليها السلام: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ

لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

﴿ آل عمران: ٤٤

قال ابن كثير: "قال ﷻ: ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾ ﴾ الفرقان: ٦ أي: أنزله عالم الخفيات، ورب الأرض والسموات، الذي يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فإنه ﷻ أوحى إلى عبده ورسوله النبي الأمي الذي كان لا يحسن الكتابة ولا يدريها بالكلية، ولا يعلم شيئاً من علم الأوائل، وأخبار الماضين، فقص الله ﷻ عليه خبر ما كان وما هو كائن على الوجه الواقع سواء بسواء، وهو في ذلك يفصل بين الحق والباطل الذي اختلفت في إيراده جملة الكتب المتقدمة، كما قال ﷻ: ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ هود: ٤٩، وقال ﷻ: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ﴿٩٩﴾ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ﴿١٠١﴾ ﴾ طه: ٩٩ - ١٠١، وقال ﷻ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي

وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ العنكبوت: ٤٨ - ٥٢"[1]

ففي هذا القرآن من الأخبار الصادقة عن الله ﷻ وملائكته وعرشه ومخلوقاته العلوية والسفلية -كالسموات والأرضين، وما بينهما وما فيهن- أمور عظيمة كثيرة مبرهنة بالأدلة القطعية المرشدة إلى العلم بذلك من جهة العقل الصحيح، كما قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ الإسراء: ٨٩، وقال ﷻ: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ العنكبوت: ٤٣، وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ الزمر: ٢٧ - ٢٨، وفي القرآن العظيم الإخبار عما مضى على الوجه الحق، وبرهانه ما في كتب أهل الكتاب من ذلك شاهداً له، مع كونه نزل على رجل أمي لا يعرف الكتابة ولم يعان يوماً من الدهر من علوم الأوائل، ولا أخبار الماضين، فلم يفجأ الناس إلا بوحي إليه عما كان من الأخبار النافعة التي ينبغي أن تذكر للاعتبار بها من أخبار الأمم مع الأنبياء عليهم السلام، وما كان من أمورهم معهم، وكيف نجى الله ﷻ المؤمنين وأهلك الكافرين، بعبارة لا يستطيع بشر أن يأتي بمثلها أبد الآبدين ودهر الداهرين، ففي مكان تقص القصة موجزة في غاية البيان والفصاحة، وتارة تبسط، ولا أحلى ولا أجلى ولا أعلى من ذلك السياق، حتى كأن التالي والسامع مشاهد لما كان، حاضر له، معاين للخبر بنفسه! كما قال

1 البداية والنهاية لابن كثير (8/ 541 – 542)

ﷻ: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ القصص: ٤٦، وقال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ آل عمران: ٤٤، وقال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ يوسف: ١٠٢ - ١٠٤ إلى أن قال في آخرها: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ يوسف: ١١١

المطلب الثاني: الأخبار الغيبية المتعلقة بالحاضر:

منها: الآيات التي تكشف حال المنافقين وما يخفونه بينهم أو في صدورهم، ومنها قول ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٤

ومنها قوله ﷻ: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ ﴿٧٤﴾ ﴾ التوبة: ٧٤، ووصف الله ﷻ المنافقين لما شاهدوا بعض أخبار الغيب التي يجيء بها القرآن الكريم، بقوله: ﴿ يَحْذَرُ

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴿٦٤﴾﴾ التوبة: ٦٤

المطلب الثالث: الأخبار الغيبية المتعلقة بالمستقبل:

هذا النوع آياته كثيرة، ومن ذلك وعد الله ﷻ للنبي ﷺ وأصحابه ﷺ بدخول مكة، قال ﷻ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الفتح: ٢٧، ثم وقع هذا الحادث كما أخبر الله ﷻ.

ومن ذلك قوله ﷻ مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴿٦٧﴾﴾ المائدة: ٦٧، فلم يستطع أحد أن يصل إلى النبي ﷺ بقتل مع كثرة المتربصين له.

قال البزدوي: "القرآن معجزة بنظمه وبمعناه؛ فإن فيه أخباراً عن كوائن لا يعرفها إلا الله ﷻ، وهي كما أخبر... القرآن كان معجزاً، وهو معجز الآن وفي المستقبل؛ لأن الخلق كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله أو مثل سورة منه"[1]

وقال ابن كثير: "باب ما أخبر به ﷺ من الكائنات المستقبلة في حياته وبعده، فوقعت طبق ما أخبر به سواء بسواء"[2]

وقال ﷻ في سورة "المزمل" وهي من أوائل ما نزل بمكة: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٢٠﴾﴾ المزمل: ٢٠، ومعلوم أن الجهاد لم يشرع إلا بالمدينة بعد الهجرة.

1 أصول الدين للبزدوي ص 227
2 البداية والنهاية لابن كثير (9/ 114)

وقال ﷻ في سورة "اقتربت"، وهي مكية: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ القمر: ٤٤ - ٤٥، ووقع هذا يوم بدر، وقد تلاها رسول الله ﷺ وهو خارج من العريش، ورماهم بقبضة من الحصباء، فكان النصر والظفر، وهذا مصداق ذاك.

وقال ﷻ: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾ المسد: ١ - ٥، فأخبر أن عمه عبد العزى بن عبد المطلب الملقب بأبي لهب سيدخل النار هو وامرأته، فقدر الله ﷻ أنهما ماتا على شركهما لم يسلما، حتى ولا ظاهراً، وهذا من دلائل النبوة الباهرة.

وقال ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨، وقال ﷻ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٣ - ٢٤، فأخبر أن جميع الخليقة لو اجتمعوا وتعاضدوا وتناصروا وتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحته وبلاغته وحلاوته، وإحكام أحكامه، وبيان حلاله وحرامه، وغير ذلك من وجوه إعجازه، لما استطاعوا ذلك، ولما قدروا عليه، ولا على عشر سور منه، بل ولا سورة، وأخبر أنهم لن يفعلوا ذلك أبدا، و "لن" لنفي التأبيد في المستقبل، ومثل هذا

التحدي، وهذا القطع، وهذا الإخبار الجازم، لا يصدر إلا عن واثق بما يخبر به، عالم بما يقوله، قاطع بأن أحداً لا يمكنه أن يعارضه، ولا يأتي بمثل ما جاء به عن ربه ﷻ.

وقال ﷻ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ النور: ٥٥، وهكذا وقع سواء بسواء، مكن الله ﷻ هذا الدين وأظهره وأعلاه ونشره في سائر الآفاق، وأنفذه وأمضاه، وقد فسر كثير من السلف هذه الآية بخلافة الصديق، ولا شك في دخوله فيها، ولكن لا تختص به، بل تعمه كما تعم غيره، فعن جابر بن سمرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**"[1]، وقد كان ذلك في زمن الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ.

وقال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ التوبة: ٣٣، وهكذا وقع، وعم هذا الدين، وغلب وعلا على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها، وعلت كلمته في زمن الصحابة ﷺ ومن بعدهم، وذلت لهم سائر البلاد، ودان لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم، وصار الناس إما مؤمناً داخلاً في الدين، وإما مهاداً باذلاً

1 صحيح البخاري (8/ 129) حديث رقم (6629)

الطاعة والمال، وإما محارباً خائفاً وجلاً من سطوة الإسلام وأهله، فعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها"[1]

وقال ﷻ: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الفتح: ١٦، وسواء كان هؤلاء هم هوازن، أو أصحاب مسيلمة، أو الروم، فقد وقع ذلك.

وقال ﷻ: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الفتح: ٢٠ - ٢١، وسواء كانت هذه الأخرى خيبر أو مكة فقد فتحت وأخذت كما وقع به الوعد سواء بسواء.

وقال ﷻ: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الفتح: ٢٧، فكان هذا الوعد في سنة الحديبية عام ست، ووقع إنجازه في سنة سبع، عام عمرة القضاء.

وقال ﷻ: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴿٩٥﴾ ﴾ التوبة: ٩٥، وهكذا وقع لما رجع ﷺ من غزوة تبوك كان قد تخلف

1 صحيح مسلم (4/ 2215) حديث رقم (2889)

عنه طائفة من المنافقين، فجعلوا يحلفون بالله ﷻ لقد كانوا معذورين في تخلفهم، وهم في ذلك كاذبون، فأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يجري أحوالهم على ظاهرها، ولا يفضحهم عند الناس، وقد أطلعه الله ﷻ على أعيان جماعة منهم أربعة عشر رجلاً، فكان حذيفة بن اليمان ﷺ ممن يعرفهم بتعريفه ﷺ إياه.

وقال ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ فصلت: ٥٣، وكذلك وقع، أظهر الله ﷻ من آياته ودلائله في أنفس البشر وفي الآفاق بما أوقعه من الناس بأعداء النبوة ومخالفي الشرع ممن كذب به من أهل الكتابين والمجوس والمشركين ما دل ذوي البصائر والنهى على أن محمداً ﷺ رسول الله حقاً، وأن ما جاء به من الوحي عن الله ﷻ صدق.

المبحث الثاني: إعجاز القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو الحجة التي أظهرها الله ﷻ على يد نبيه محمد ﷺ، وتحدى الناس أن يأتوا بمثله، أو بشيء منه، فما استطاعوا ولن يستطيعوا.

وجاءت المعجزة قرآناً يقرؤه العرب بألسنتهم، ويسمعونه بآذانهم، ويزنونه بموازين كلامهم، فإذا به أبلغ من بليغ الكلام، وأفصح من فصيحه، لا يرتقي إليه بيان، ولا يدركه لسان، فملك البلاغة بألوانها، وحاز الفصاحة بأركانها، وجاءهم بما لا قبل لهم برده، ولا قدرة لهم في دفعه، ثم هذا الكلام لم يأخذ من اللغة صنعتها، ومن الأسلوب جماله، ومن الفصاحة رونقها، ومن البلاغة سموها فحسب، بل أخذ مع هذا كله من المعاني أسماها، ومن المقاصد أعلاها، فجاء بالدين بأصوله

وحججه، وبراهينه وشريعته وآدابه، على أكمل وجه وأحسنه، فهو إعجاز في إعجاز!

قال عياض في ذكره المكفرات المجمع عليها: "وكذلك من أنكر القرآن أو حرفاً منه، أو غير شيئاً منه، أو زاد فيه -كفعل الباطنية والإسماعيلية- أو زعم أنه ليس بحجة للنبي ﷺ، أو ليس فيه حجة ولا معجزة"[1]

وقال ابن تيمية: "القرآن معجز بلفظه ونظمه ومعناه"[2]

وقال ابن كثير: "القرآن العظيم معجز من وجوه كثيرة؛ من فصاحته، وبلاغته، ونظمه، وتراكيبه، وأساليبه، وما تضمنه من الإخبار بالغيوب الماضية والمستقبلة، وما اشتمل عليه من الأحكام المحكمة الجلية؛ فالتحدي ببلاغة ألفاظه يخص فصحاء العرب، والتحدي بما اشتمل عليه من المعاني الصحيحة الكاملة -وهي أعظم في التحدي عند كثير من العلماء- يعم جميع أهل الأرض من الملتين؛ أهل الكتابين وغيرهم من عقلاء اليونان والهند والفرس والقبط وغيرهم من أصناف بني آدم في سائر الأقطار والأعصار"[3]

وقال ابن رجب: "قوله ﷻ: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴿١٦٤﴾﴾ آل عمران: ١٦٤، يعني: يتلو عليهم ما أنزله الله ﷻ عليه من آياته المتلوة، وهو القرآن، وهو أعظم الكتب السماوية، وقد تضمن من العلوم والحكم والمواعظ والقصص والترغيب والترهيب، وذكر أخبار من سبق وأخبار ما يأتي من البعث والنشور والجنة والنار؛ ما لم يشتمل عليه كتاب غيره، حتى قال بعض العلماء: لو أن هذا الكتاب وجد مكتوباً في

1 الشفا بتعريف حقوق المصطفى لعياض السبتي (2/ 614)
2 شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ص 220
3 البداية والنهاية لابن كثير (8/ 547)

مصحف في فلاة من الأرض ولم يعلم من وضعه هناك، لشهدت العقول السليمة أنه منزل من عند الله ﷻ، وأن البشر لا قدرة لهم على تأليف ذلك، فكيف إذا جاء على يدي أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم، وقال: إنه كلام الله ﷻ، وتحدى الخلق كلهم أن يأتوا بسورة مثله فعجزوا فيه؟! فكيف مع هذا شك؟! ولهذا قال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ ﴾ البقرة: ٢، وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ العنكبوت: ٥١، فلو لم يكن لمحمد ﷺ من المعجزات الدالة على صدقه غير هذا الكتاب لكفاه فكيف وله من المعجزات الأرضية والسماوية مالا يحصى"[1]

وقال ابن حجر: "قد جمع بعضهم إعجاز القرآن في أربعة أشياء:

أحدها: حسن تأليفه والتئام كلمه، مع الإيجاز والبلاغة.

ثانيها: صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظماً ونثراً، حتى حارت فيه عقولهم، ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله، مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك، وتقريعه لهم على العجز عنه.

ثالثها: ما اشتمل عليه من الإخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الداثرة، مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب.

رابعها: الإخبار بما سيأتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي وبعضها بعده.

ومن غير هذه الأربعة آيات وردت بتعجيز قوم في قضايا أنهم لا يفعلونها فعجزوا عنها، مع توفر دواعيهم على تكذيبه، كتمني اليهود الموت.

1 لطائف المعارف لابن رجب ص 84

ومنها: الروعة التي تحصل لسماعه.

ومنها: أن قارئه لا يمل من ترداده، وسامعه لا يمجه، ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة.

ومنها: أنه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا.

ومنها: جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضي عجائبها، ولا تنتهي فوائدها"[1]

وقال السيوطي: "أخبر أن الكتاب آية من آياته كاف في الدلالة قائم مقام معجزات غيره وآيات من سواه من الأنبياء، ولما جاء به النبي ﷺ إليهم وكانوا أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء وتحداهم على أن يأتوا بمثله وأمهلهم طول السنين، فلم يقدروا، كما قال ﷻ: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الطور: ٣٤، ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله ﷻ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ هود: ١٣ - ١٤، ثم تحداهم بسورة في قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يونس: ٣٨، ثم كرر في قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣، فلما عجزوا عن معارضته والإتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء، نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن، فقال: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ

1 فتح الباري لابن حجر العسقلاني (9/ 7)

﴿ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨، هذا وهم الفصحاء اللد، وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره، فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعا للحجة، ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه، بل عدلوا إلى العناد تارة، وإلى الاستهزاء أخرى؛ فتارة قالوا: (سحر)، وتارة قالوا: (شعر)، وتارة قالوا: (أساطير الأولين)، كل ذلك من التحير والانقطاع، ثم رضوا بتحكيم السيف في أعناقهم، وسبي ذراريهم وحرمهم، واستباحة أموالهم، وقد كانوا آنف شيء وأشده حمية، فلو علموا أن الإتيان بمثله في قدرتهم لبادروا إليه؛ لأنه كان أهون عليهم"[1]

وقال حافظ الحكمي: "هذا القرآن معجزة خالدة أبد الآبدين ودهر الداهرين، لا تفنى عجائبه، ولا يدرك غاية إعجازه، ولا يندرس بمرور الأعصار، ولا يمل مع التكرار، بل يجلى مع ذلك ويتجلى، ويعلو على غيره ولا يعلى، وكل معجزة قبله انقضت بانقضاء زمانها ولم يبق إلا تذكارها، وهو كل يوم براهينه في مزيد، ومعجزاته في تجديد، ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: ٤٢"[2]

وقال محمد دراز: "ما جاء في التحدي بهذا القرآن وتعجيز العالم كله عن الإتيان بمثله ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨، ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ ﴿٢٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٤، فانظر هذا النفي المؤكد، بل الحكم المؤبد! هل يستطيع

1 الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (4/ 4 – 5)
2 معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للحكمي (3/ 1122)

عربي يدري ما يقول أن يصدر هذا الحكم وهو يعلم أن مجال المساجلات بين العرب مفتوح على مصراعيه، وأن الناقد المتأخر متى أعمل الروية في تعقب قول القائل المتقدم لا يعييه أن يجد فيه فائتاً ليستدرك، أو ناقصاً ليكمل، أو كلاماً ليزداد كمالاً؟! ألم يكن يخشى بهذا التحدي أن يثير حميتهم الأدبية فيهبوا لمنافسته وهم جميع حذرون؟! وماذا عساه يصنع لو أن جماعة من بلغائهم تعاقدوا على أن يضع أحدهم صيغة المعارضة، ثم يتناولها سائرهم بالإصلاح والتهذيب، كما كانوا يصنعون في نقد الشعر، فيكمل ثانيهم ما نقصه أولهم، وهكذا، حتى يخرجوا كلاماً إن لم يبزه فلا أقل من أن يساميه ولو في بعض نواحيه؟ ثم لو طوعت له نفسه أن يصدر هذا الحكم على أهل عصره فكيف يصدره على الأجيال القادمة إلى يوم القيامة، بل على الإنس والجن؟! إن هذه مغامرة لا يتقدم إليها رجل يعرف قدر نفسه إلا وهو مالئ يديه من تصاريف القضاء، وخبر السماء، وهكذا رماها بين أظهر العالم، فكانت هي القضاء المبرم سلط على العقول والأفواه، فلم يهم بمعارضته إلا باء بالعجز الواضح، والفشل الفاضح، على مر العصور والدهور!"[1]

المبحث الثالث: تعدد أسماء وصفات القرآن الكريم:

وردت للقرآن الكريم أسماء وصفات كثيرة في عدد من الآيات والأحاديث النبوية، ولكثرة هذه الأسماء والصفات أفردها بعض العلماء بمؤلفات مستقلة.

فمن أسماء القرآن التي استمدها العلماء من القرآن نفسه: التنزيل، الكتاب، القرآن، الحق، الوحي، النور، كلام الله ﷻ، الفرقان، الروح، البلاغ، حبل الله ﷻ، البرهان، وغير ذلك.

1 النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم لمحمد دراز ص 73

قال الفيروز آبادي: "اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها؟!، وكذلك كثرة أسماء الله ﷻ دلت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي ﷺ دلت على علو رتبته وسمو درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته"[1]

وأسماء القرآن تشترك في دلالتها على ذات واحدة هي القرآن الكريم نفسه، ويمتاز كل واحد منها عن الآخر بدلالته على معنى خاص؛ فكل اسم للقرآن يدل على حصول معناه فيه، فتسميته مثلاً بالهدى يدل على أن الهداية فيه، وتسميته بالتذكرة يدل على أن فيه ذكرى.

قال ابن تيمية عن لفظ السيف والصارم والمهند: "فإنها تشترك في دلالتها على الذات، فهي من هذا الوجه كالمتواطئة، ويمتاز كل منها بدلالته على معنى خاص، فتشبه المتباينة، وأسماء الله ﷻ وأسماء رسوله ﷺ وكتابه من هذا الباب"[2]

وقال أيضاً: "كل اسم من أسمائه ﷻ يدل على ذاته وعلى ما في الاسم من صفاته، ويدل أيضاً على الصفة التي في الاسم الآخر بطريق اللزوم، وكذلك أسماء النبي ﷺ؛ مثل: محمد، وأحمد، والماحي، والحاشر، والعاقب، وكذلك أسماء القرآن؛ مثل: القرآن، والفرقان، والهدى، والشفاء، والبيان، والكتاب، وأمثال ذلك"[3]

1 بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (1/ 88)
2 مجموع الفتاوي لابن تيمية (20/ 494)
3 مجموع الفتاوي لابن تيمية (13/ 334)

وقال محمد دراز: "روعي في تسميته قرآناً كونه متلوا بالألسن، كما روعي في تسميته كتاباً كونه مدوناً بالأقلام؛ فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً؛ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجتمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحافظ بالإسناد الصحيح المتواتر، وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله ﷻ في نفوس الأمة المحمدية؛ اقتداء بنبيها، بقي القرآن محفوظاً في حرز حريز"[1]

وقال ابن عثيمين: "إن هذا القرآن الذي بين أيديكم تتلونه وتسمعونه وتحفظونه وتكتبونه، هو كلام ربكم رب العالمين ﷻ، وإله الأولين والآخرين، وهو حبله المتين، وصراطه المستقيم، وهو الذكر المبارك والنور المبين، تكلم الله ﷻ به حقيقة على الوصف الذي يليق بجلاله وعظمته، وألقاه على جبريل الأمين عليه السلام أحد الملائكة الكرام المقربين؛ فنزل به على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، وصفه الله ﷻ بأوصاف عظيمة لتعظموه وتحترموه، وذكر آيات كثيرة تتضمن صفات عديدة للقرآن، ثم قال: فهذه الأوصاف العظيمة الكثيرة التي نقلناها وغيرها مما لم ننقله؛ تدل كلها على عظمة هذا القرآن، ووجوب تعظيمه والتأدب عند تلاوته، والبعد حال قراءته عن الهزء واللعب"[2]

1 النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم لمحمد دراز ص 42
2 مجموع فتاوى ورسائل العثيمين لابن عثيمين (20/ 273 – 276)

ومن صفاته: الشهادة له بالسلامة من العوج: قال ﷻ: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الزمر: ٢٨

قال النسفي: "﴿ غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ مستقيماً بريئاً من التناقض والاختلاف، ولم يقل مستقيماً؛ للإشعار بألا يكون فيه عوج قط، وقيل: المراد بالعوج الشك"[1]

وقال السعدي: "﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ أي: جعلناه قرآناً عربياً، واضح الألفاظ، سهل المعاني، خصوصاً على العرب. ﴿ غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ أي: ليس فيه خلل ولا نقص بوجه من الوجوه؛ لا في ألفاظه ولا في معانيه، وهذا يستلزم كمال اعتداله واستقامته"[2]

قال ﷻ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ﴿١﴾ ﴾ الكهف: ١

قال الشنقيطي: "قوله ﷻ في هذه الآية الكريمة: ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ﴾ أي: لم يجعل في القرآن عوجاً، أي: لا اعوجاج فيه ألبتة، لا من جهة الألفاظ، ولا من جهة المعاني، أخباره كلها صدق، وأحكامه عدل، سالم من جميع العيوب في ألفاظه ومعانيه، وأخباره وأحكامه؛ لأن قوله: "عوجا" نكرة في سياق النفي، فهي تعم نفي جميع أنواع العوج، وما ذكره ﷻ هنا من أنه لا اعوجاج فيه، بينه في مواضع أخر كثيرة، كقوله: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الزمر: ٢٧ - ٢٨، وقوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ الأنعام: ١١٥،

1 مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (3/ 178)
2 تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 723

فقوله: ﴿ صِدْقًا ﴾ أي: في الأخبار، وقوله: ﴿ وَعَدْلًا ﴾ أي: في الأحكام، وكقوله ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢، والآيات بمثل هذا كثيرة جداً"[1]

المبحث الرابع: من خصائص القرآن أنه لا ينسب إلا إلى الله ﷻ لفظاً ومعنى:

ما جاء به رسول الله ﷺ ليس من عند نفسه، بل هو من عند ربه ﷻ، قال ﷻ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ النجم: ٣ - ٤

قال الطبري: "يقول ﷻ: وما ينطق محمد ﷺ بهذا القرآن عن هواه إن هو إلا وحي يوحى يقول: ما هذا القرآن إلا وحي من الله ﷻ يوحيه إليه"[2]

وقال ابن كثير: "أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفراً من غير زيادة ولا نقصان"[3]

فالقرآن الكريم لا تجوز نسبته لغير الله ﷻ، فلفظه ومعناه من عند الله ﷻ.

قال ابن حجر الهيتمي عن الأحاديث القدسية: "هي ما نقل إلينا آحاداً عنه ﷺ مع إسناده لها عن ربه ﷻ، فهي من كلامه ﷻ، فتضاف إليه وهو الأغلب، ونسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء؛ لأنه المتكلم بها أولاً، وقد تضاف إلى النبي ﷺ؛ لأنه المخبر بها عن الله ﷻ، بخلاف القرآن فإنه لا يضاف إلا إليه ﷻ، فيقال فيه: (قال الله ﷻ)، وفيها: قال رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ"[4]

وقال ابن عثيمين: "القرآن لا تجوز قراءته بالمعنى بإجماع المسلمين"[5]

---

1 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (3/ 192)
2 جامع البيان للطبري (22/ 8)
3 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (7/ 443)
4 الفتح المبين بشرح الأربعين للهيثمي ص 432
5 مجموع فتاوى ورسائل العثيمين لابن عثيمين (9/ 70)

المبحث الخامس: التعبد بتلاوة القرآن الكريم:

القرآن الكريم مأمور بقراءته في الصلاة على وجه العبادة، فلا تتم الصلاة التي هي عمود الدين إلا بتلاوة القرآن فيها، قال ﷻ: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ الإسراء: ٧٨ - ٧٩

قال السمعاني: "استدل العلماء بهذا على وجوب القراءة في الصلاة حيث سمى الصلاة قرآناً"[1]

وقال الشنقيطي: "قرآن الفجر، أي: صلاة الصبح، وعبر عنها بالقرآن بمعنى القراءة؛ لأنها ركن فيها، من التعبير عن الشيء باسم بعضه، وهذا البيان أوضحته السنة إيضاحاً كلياً"[2]

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**"[3]

قال المناوي: "لا صلاة لمن لم يقرأ" فيها "بفاتحة الكتاب" أي: لا صلاة كائنة لمن لم يقرأ فيها، وعدم الوجود شرعاً هو عدم الصحة، هذا هو الأصل... ثم هذا الحديث ليس فيه إلا وجوب قراءتها، وأما تعينها في كل ركعة فعلم من دليل آخر"[4]

كما أن الثواب على تلاوته لا يعادله ثواب أي تلاوة لغيره؛ فقد ورد في فضل تلاوة القرآن من النصوص ما يميزها عن غيرها"[5]

---

1 تفسير القرآن للسمعاني (3/ 268)
2 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (1/ 280)
3 صحيح البخاري (1/ 151) حديث رقم (756)، صحيح مسلم (1/ 295) حديث رقم (394)
4 فيض القدير للمناوي (6/ 429)
5 دراسات في علوم القرآن الكريم للرومي ص 22

المبحث السادس: أن الله ﷻ تعهد بحفظ وسلامة القرآن الكريم من كل تحريف:

المطلب الأول: حفظ القرآن في عهد النبوة:

للحفظ في عهد النبوة عدة أوجه؛ منها:

1. الطريقة التي كان ينزل بها الوحي:

كان الوحي ينزل على النبي ﷺ على هيئة تكون أدعى إلى حفظه وضبطه، فعن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: **يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟** فقال رسول الله ﷺ: "**أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني، فأعي ما يقول**"[1]

قال أبو العباس القرطبي: "قوله: وهو أشده علي" إنما كان أشد عليه لسماعه صوت الملك الذي هو غير معتاد، وربما كان شاهد الملك على صورته التي خلق عليها، كما أخبر بذلك عن نفسه في غير هذا الموضع، وكان يشتد عليه أيضاً؛ لأنه كان يريد أن يحفظه ويفهمه مع كونه صوتاً متتابعاً؛ ولذلك كان يتغير لونه، ويتفصد عرقاً، ويعتريه مثل حال المحموم، ولولا أن الله ﷻ قواه على ذلك، ومكنه منه بقدرته لما استطاع شيئاً من ذلك، ولهلك عند مشافهة الملك؛ إذ ليس في قوى البشر المعتادة تحمل ذلك بوجه.

والحالة الثانية: وهي أن يتمثل له الملك في صورة رجل، فيكلمه بكلامه المعتاد، فلا يجد إلى ذلك شيئاً من المشقات والشدائد، وهذا كما اتفق له معه حيث تمثل له في صورة الأعرابي، فسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان، وكما كان يأتيه في صورة

1 صحيح البخاري (1/ 6/ حديث رقم (2)

دحية بن خليفة، وكانت صورته حسنة، وقوله: "فيفصم عني، وقد وعيت عنه" أي: يذهب عني، ويقلع، ووعيت: فهمت وحفظت، وقد اقتصر في هذا الحديث على ذكر طريقي الوحي، ولم يذكر الرؤيا، وهي من الوحي كما تقدم؛ لأنه فهم عن السائل أنه إنما سأل عن كيفية تلقيه الوحي من الملك. والله أعلم"[1]

2. مدارسة جبريل عليه السلام النبي ﷺ القرآن:

وكان ذلك في رمضان من كل عام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "**كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة**"[2]

قال أبو العباس القرطبي: "قوله: وكان أجود ما يكون في رمضان" إنما كان ذلك لأوجه: أحدها: رغبة في ثواب شهر رمضان، فإن أعمال الخير فيه مضاعفة الأجر، وليعين الصائمين على صومهم، وليفطرهم، فيحصل له مثل أجورهم كما قال، ولأنه كان يلقى فيه جبريل عليه السلام لمدارسة القرآن، فكان يتجدد إيمانه ويقينه، وتعلو مقاماته، وتظهر عليه بركاته، فيا له من لقاء ما أكرمه، ومن مشهد ما أعظمه!"[3]

وفي رواية لأبي هريرة رضي الله عنه قال: "**كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض**"[4]

قال ابن حجر: "في الحديث من الفوائد غير ما سبق: تعظيم شهر رمضان لاختصاصه بابتداء نزول القرآن فيه، ثم معارضته ما نزل منه فيه، ويلزم من ذلك

1 المفهم للقرطبي (6/ 172)
2 صحيح البخاري (6/ 186) حديث رقم (4997)
3 المفهم للقرطبي (102/6)
4 صحيح البخاري (6/ 186) حديث رقم (4998)

كثرة نزول جبريل عليه السلام فيه، وفي كثرة نزوله من توارد الخيرات والبركات ما لا يحصى... وفيه أن مداومة التلاوة توجب زيادة الخير، وفيه استحباب تكثير العبادة في آخر العمر، ومذاكرة الفاضل بالخير والعلم وإن كان هو لا يخفى عليه ذلك؛ لزيادة التذكرة والاتعاظ"[1]

3. كتابة الوحي ومقابلته:

قال الحارث المحاسبي: "كتابة القرآن ليست محدثة؛ فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب، وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء"[2]

وقال أبو عمرو الداني: "إن رسول الله ﷺ سن جمع القرآن وكتابته، وأمر بذلك وأملاه على كتبته، وأنه ﷺ لم يمت حتى حفظ جميع القرآن جماعة من أصحابه رضي الله عنهم"[3]

4. قصر الكتابة –ابتداء– على القرآن:

قصرت الكتابة في بادئ الأمر على القرآن؛ لئلا يختلط بغيره، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج**"[4]، ثم كان الإذن بالكتابة بعد أن زال سبب المنع.

قال النووي: "اختلفوا في المراد بهذا الحديث الوارد في النهي؛ فقيل: هو في حق من يوثق بحفظه ويخاف اتكاله على الكتابة إذا كتب، وتحمل الأحاديث الواردة

---

1 فتح الباري لابن حجر العسقلاني (9/ 45)
2 البرهان في علوم القرآن للزركشي (1/ 238)، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (1/ 206)
3 الأحرف السبعة للقرآن لأبي عمرو الداني ص 61 - 62
4 صحيح مسلم (4/ 2298) حديث رقم (3004)

بالإباحة على من لا يوثق بحفظه؛ كحديث: اكتبوا لأبي شاه، وحديث صحيفة علي ﷺ ... وحديث كتاب الصدقة ونصب الزكاة الذي بعث به أبو بكر ﷺ أنساً ﷺ حين وجهه إلى البحرين، وحديث أبي هريرة ﷺ أن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما كان يكتب ولا أكتب، وغير ذلك من الأحاديث. وقيل: إن حديث النهي منسوخ بهذه الأحاديث، وكان النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن، فلما أمن ذلك أذن في الكتابة. وقيل: إنما نهى عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة؛ لئلا يختلط فيشتبه على القارئ في صحيفة واحدة. والله أعلم"[1]

وقال ابن الصلاح: "لعله ﷺ أذن في الكتابة عنه لمن خشي عليه النسيان، ونهى عن الكتابة عنه من وثق بحفظه، مخافة الاتكال على الكتاب، أو نهى عن كتابة ذلك عنه حين خاف عليهم اختلاط ذلك بصحف القرآن العظيم، وأذن في كتابته حين أمن من ذلك"[2]

5. الحض على تعلم القرآن وتعليمه:

عن عثمان بن عفان ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**"[3]

وكان النبي ﷺ يحث أصحابه ﷺ على تعلم القرآن وتعليمه، وحفظه وتحفيظه، وكان يقدم أكثرهم أخذاً للقرآن في إمامة الصلوات، وقيادة السرايا.

قال الباقلاني: "كيف لا يكون حال الأمة في أمر حفظ القرآن والقيام به وبتحصينه وحياطته، والمحافظة على درسه، وتأمله وتعلمه وتعليمه- التقديم له على كل مهم ماس من أمر دينه، مع الذي وصفناه مما ورد في نفس التنزيل المحفوظ من

1 شرح النووي على مسلم (18/ 130)
2 معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح لابن الصلاح ص 182
3 صحيح البخاري (6/ 192) حديث رقم (5027)

تعظيم شأن القرآن، والأمر بتدبره والرجوع إليه، والعمل عليه، مع كثرة ما سمعوه من الرسول ﷺ في الحض على تعلمه وتعليمه والأمر بالتفقه به، والحث على حراسته، والإكثار من تلاوته، وضمانه الثواب الجزيل على قراءة كل حرف منه، وتفضيل أهل القرآن على سائر الناس، والتعظيم لشأنهم والإخبار عن رفيع درجتهم عند الله ﷻ، وما أعده لهم، إلى غير ذلك مما قد تظاهرت الأخبار بذكره، وعلم في الجملة ضرورة من دين النبي ﷺ الأمر به والدعاء إليه، والتفخيم لشأن القرآن وإجلال حملته"[1]

6. قوة الحافظة عند العرب:

كان العرب أهل حافظة لا تكاد تخطئ، وذاكرة لا يكاد يعزب عنها شيء، وخاصة أن القرآن جاء بأسلوب بارع، وبيان رفيع؛ مما جعله أحرى لحفظه، والاهتمام به، حتى كثر آخذوه صدراً وسطراً.

قال الباقلاني: "تظاهر بينهم حتى حفظه الرجال، وتنقلت به الرحال، وتعلمه الكبير والصغير؛ إذ كان عمدة دينهم، وعلماً عليه، والمفروض تلاوته في صلواتهم، والواجب استعماله في أحكامهم"[2]

المطلب الثاني: حفظ القرآن في عهد الصحابة رضي الله عنهم:

قال ابن تيمية: "إن المانع من جمعه على عهد رسول الله ﷺ كان أن الوحي كان لا يزال ينزل، فيغير الله سبحانه وتعالى ما يشاء ويحكم ما يريد، فلو جمع في مصحف واحد لتعسر أو تعذر تغييره كل وقت، فلما استقر القرآن بموته ﷺ واستقرت الشريعة بموته ﷺ أمن الناس من زيادة القرآن ونقصه، وأمنوا من زيادة الإيجاب والتحريم"[3]

1 الانتصار للقرآن للباقلاني (1/ 78 – 79)
2 إعجاز القرآن للباقلاني ص 16
3 اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية (2/ 97)

قال الزركشي: "ثبت أن القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن النبي ﷺ، وإنما ترك جمعه في مصحف واحد؛ لأن النسخ كان يرد على بعض، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين، فحفظه الله ﷻ في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ، ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين"[1]

وقد تجلى حفظ القرآن في عهد الصحابة ﷺ بجمع القرآن مرتين:

الجمع الأول: في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

لما كثر القتل في حفظة كتاب الله ﷻ، خشي الصحابة ﷺ ذهاب القرآن بذهاب حفظته؛ فأجمعوا أمرهم على جمعه في مكان واحد، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "أرسل إلي أبو بكر الصديق رضي الله عنه مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا -والله- خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله ﷻ صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به في جمع القرآن! قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو -والله- خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله ﷻ صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى

1 البرهان في علوم القرآن للزركشي (1/ 235)

وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره: لقد ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ التوبة: ١٢٨، حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر"[1]

الجمع الثاني: في عهد عثمان بن عفان ﷺ:

لما ظهر النزاع بين بعض المسلمين بسبب الاختلاف في الأحرف التي يقرأ بها القرآن، أجمع الصحابة ﷺ ومن معهم من المسلمين على جمع القرآن في مصحف واحد، وأحرقوا ما دونه من المصاحف، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: "إن حذيفة بن اليمان ﷺ قدم على عثمان ﷺ وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة ﷺ اختلافهم في القرآن، فقال حذيفة ﷺ لعثمان ﷺ: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان ﷺ إلى حفصة رضي الله عنها: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة رضي الله عنها إلى عثمان ﷺ، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ﷺ، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان ﷺ للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت ﷺ في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم؛ ففعلوا، حتى إذا نسخوا

1 صحيح البخاري (6/ 71) حديث رقم (4679)

الصحف في المصاحف، رد عثمان ﷺ الصحف إلى حفصة رضي الله عنها، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق"[1]

وهكذا حفظ كتاب الله ﷻ على يد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، وهو مما يعد في مناقبهما.

قال أبو عمرو الداني: "جملة ما نعتقده من هذا الباب وغيره من إنزال القرآن وكتابته وجمعه وتأليفه وقراءته ووجوهه... أن رسول الله ﷺ سن جمع القرآن وكتابته، وأمر بذلك وأملاه على كتبته، وأنه ﷺ لم يمت حتى حفظ جميع القرآن جماعة من أصحابه ﷺ، وحفظ الباقون منه جميعه متفرقاً، وعرفوه وعلموا مواقعه ومواضعه على وجه ما يعرف ذلك اليوم من ليس من الحفاظ لجميع القرآن، وأن أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وزيد بن ثابت ﷺ وجماعة الأمة أصابوا في جمع القرآن بين لوحين وتحصينه وإحرازه وصيانته، وجروا في كتابته على سنن الرسول ﷺ وسنته، وأنهم لم يثبتوا منه شيئاً غير معروف ولا ما لم تقم الحجة به، ولا رجعوا في العلم بصحة شيء منه وثبوته إلى شهادة الواحد والاثنين ومن جرى مجراهما، وإن كانوا قد أشهدوا على النسخة التي جمعوها على وجه الاحتياط من الغلط وطرق الحكم والانقاد، وأن أبا بكر ﷺ قصد في جمع القرآن إلى تثبيته بين اللوحين فقط ورسم جميعه، وأن عثمان ﷺ أحسن وأصاب ووفق لفضل عظيم في جمع الناس على مصحف واحد وقراءات محصورة، والمنع من غير ذلك، وأن سائر الصحابة ﷺ من علي ﷺ ومن غيره كانوا متبعين لرأي أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما في جمع القرآن، وأنهم أخبروا بصواب

1 صحيح البخاري (6/ 183) حديث رقم (4987)

ذلك وشهدوا به، وأن عثمان ﷺ لم يقصد قصد أبي بكر ﷺ في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمع الصحابة ﷺ على القراءات الثابتة المعروفة عن الرسول ﷺ، وألقى ما لم يجر مجرى ذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، وأنه لم يسقط شيئاً من القراءات الثابتة عن الرسول ﷺ ولا منع منها ولا حظر القراءة بها؛ إذ ليس إليه ولا إلى غيره أن يمنع ما أباحه الله ﷻ وأطلقه وحكم بصوابه وحكم الرسول ﷺ للقارئ به أنه محسن مجمل في قراءته"[1]

وقال ابن عثيمين: "لكتابة القرآن وجمعه ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: في عهد النبي ﷺ، وكان الاعتماد في هذه المرحلة على الحفظ أكثر من الاعتماد على الكتابة؛ لقوة الذاكرة وسرعة الحفظ، وقلة الكاتبين ووسائل الكتابة؛ ولذلك لم يجمع في مصحف، بل كان من سمع آية حفظها، أو كتبها فيما تيسر له من عسب النخل، ورقاع الجلود، ولخاف الحجارة، وكسر الأكتاف، وكان القراء عدداً كبيراً، **فعن أنس بن مالك ﷺ قال: بعث النبي ﷺ سبعين رجلاً يقال لهم: القراء، فعرض لهم حيان من بني سليم: رعل وذكوان، عند بئر معونة فقتلوهم**"[2]، وفي الصحابة غيرهم كثير؛ كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي الدرداء ﷺ.

المرحلة الثانية: في عهد أبي بكر ﷺ في السنة الثانية عشرة من الهجرة. وسببه أنه قتل في وقعة اليمامة عدد كبير من القراء؛ منهم سالم مولى أبي حذيفة ﷺ؛ أحد من

1 الأحرف السبعة للقرآن لأبي عمرو الداني ص 60 - 63
2 صحيح البخاري (5/ 104) حديث رقم (4088)

أمر النبي ﷺ بأخذ القرآن منهم، فأمر أبو بكر ﷺ بجمعه؛ لئلا يضيع... وقد وافق المسلمون أبا بكر ﷺ على ذلك وعدوه من حسناته، حتى قال علي ﷺ: "أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر ﷺ، رحمة الله على أبي بكر؛ هو أول من جمع كتاب الله ﷻ"

المرحلة الثالثة: في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ في السنة الخامسة والعشرين. وسببه اختلاف الناس في القراءة بحسب اختلاف الصحف التي في أيدي الصحابة ﷺ، فخيفت الفتنة، فأمر عثمان ﷺ أن تجمع هذه الصحف في مصحف واحد؛ لئلا يختلف الناس، فيتنازعوا في كتاب الله ﷻ ويتفرقوا... وقد فعل عثمان ﷺ هذا بعد أن استشار الصحابة ﷺ؛ لما روى ابن أبي داود عن علي ﷺ أنه قال: "والله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملاء منا، قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا، فنعم ما رأيت، وقال مصعب بن سعد ﷺ: أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان ﷺ المصاحف، فأعجبهم ذلك، أو قال: لم ينكر ذلك منهم أحد، وهو من حسنات أمير المؤمنين عثمان ﷺ التي وافقه المسلمون عليها، وكانت مكملة لجمع خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر ﷺ"[1]

قال الباقلاني: "تناقله خلف عن سلف، هم مثلهم في كثرتهم، وتوفر دواعيهم على نقله، حتى انتهى إلينا على ما وصفنا من حاله"[2]

1 أصول في التفسير لابن عثيمين ص 19 - 21
2 إعجاز القرآن للباقلاني ص 17

المبحث السابع: القرآن الكريم آخر الكتب المنزلة:

قال ﷻ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٠ وتواترت الأخبار عنه ﷺ بأنه لا نبي بعده، وإذا كان محمد ﷺ خاتم النبيين، فإن القرآن الذي أنزل عليه خاتم الكتب المنزلة، وكون القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية، يعني أن القرآن حجة قائمة على كل من بلغه من الإنس والجن في كل زمان وفي كل مكان، وقد أمر الرسول ﷺ ببيان ذلك في قوله ﷻ: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٩

قال أبو السعود: "أي: لأنذركم به -يا أهل مكة- وسائر من بلغه من الأسود والأحمر، أو من الثقلين، أو لأنذركم به -أيها الموجودون- ومن سيوجد إلى يوم القيامة، وهو دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين يوم نزوله، ومن سيوجد بعد إلى يوم القيامة"[1]

ويعني ختم الكتب بالقرآن أيضاً كمال الدين؛ قال ﷻ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾ ﴾ المائدة: ٣ .

قال السعدي: "اليوم أكملت لكم دينكم بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة؛ الأصول والفروع؛ ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية في أحكام الدين؛ أصوله وفروعه"[2]

1 إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (3/ 118)
2 تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 219

وقال ابن عاشور: "إكمال الدين هو إكمال البيان المراد لله ﷻ، الذي اقتضت الحكمة تنجيمه، فكان بعد نزول أحكام الاعتقاد التي لا يسع المسلمين جهلها، وبعد تفاصيل أحكام قواعد الإسلام –التي آخرها الحج– بالقول والفعل، وبعد بيان شرائع المعاملات وأصول النظام الإسلامي، كان بعد ذلك كله قد تم البيان المراد لله ﷻ في قوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ النحل: ٨٩ ، وقوله: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿٤٤﴾ ﴾ النحل: ٤٤، بحيث صار مجموع التشريع الحاصل بالقرآن والسنة كافياً في هدي الأمة في عبادتها ومعاملتها وسياستها، في سائر عصورها، بحسب ما تدعو إليه حاجاتها؛ فقد كان الدين وافياً في كل وقت بما يحتاجه المسلمون"[1]

وقال ﷻ: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴿١١٤﴾ ﴾ الأنعام: ١١٤

قال الشوكاني: "أي: كيف أطلب حكماً غير الله ﷻ، وهو الذي أنزل عليكم القرآن مفصلاً مبيناً واضحاً مستوفياً لكل قضية على التفصيل"[2]

وقال السعدي: "أي: قل يا أيها الرسول ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾ أحاكم إليه، وأتقيد بأوامره ونواهيه، فإن غير الله ﷻ محكوم عليه لا حاكم، وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على النقص والعيب والجور، وإنما الذي يجب أن يتخذ حاكماً فهو الله ﷻ وحده لا شريك له، الذي له الخلق والأمر ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ أي: موضحاً فيه الحلال والحرام، والأحكام الشرعية،

1 التحرير والتنوير لابن عاشور (6/ 103)
2 فتح القدير للشوكاني (2/ 176)

وأصول الدين وفروعه، الذي لا بيان فوق بيانه، ولا برهان أجلى من برهانه، ولا أحسن منه حكماً ولا أقوم قيلاً؛ لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحمة"[1]

المبحث الثامن: هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة:

قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴿٤٨﴾ ﴾ المائدة: ٤٨

أي: وأنزلناه شاهداً للكتب الإلهية السابقة بصدقها، وموافقاً لها، ومطابقاً لأخبارها وأصول شرائعها، وفي وجوده أيضاً دلالة على صدقها؛ لأنها أخبرت بنزول القرآن. وأنزلناه أميناً على الكتب الإلهية السابقة، حافظاً لها، مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة، وناسخاً لها، وحاكماً عليها كلها، فما شهد له القرآن منها بالصدق فهو مقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله ﷻ لم يخالفه، وما دام أن هذه هي حال القرآن؛ فاحكم إذن –يا محمد– بين أهل الكتاب وغيرهم بهذا القرآن العظيم في كل ما احتكموا فيه إليك، فعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في تفسير قوله ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا ﴾: (المهيمن: الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله"[2]

وروي عنه أيضاً أنه قال: "ومهيمناً أي: حاكماً على ما قبله من الكتب"[3]

وقال قتادة: "ومهيمناً أي: أميناً وشاهداً على الكتب التي خلت قبله"[4]

1 تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 270
2 جامع البيان للطبري (8/ 488)
3 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (3/ 116)
4 جامع البيان للطبري (8/ 486)

وعن سعيد بن جبير أنه قال: "القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب"[1]

وعن ابن زيد قال: "مصدقاً عليه، كل شيء أنزله الله ﷻ من توراة أو إنجيل أو زبور فالقرآن مصدق على ذلك، وكل شيء ذكر الله ﷻ في القرآن فهو مصدق عليها وعلى ما حدث عنها أنه حق"[2]

قال ابن كثير: "هذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله؛ فهو أمين، وشاهد، وحاكم على كل كتاب قبله"[3]

وقال الرازي: "إنما كان القرآن مهيمناً على الكتب؛ لأنه الكتاب الذي لا يصير منسوخاً ألبتة، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف على ما قال ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩، التوراة والإنجيل والزبور حق صدق: باقية أبداً"[4]

وقال ابن تيمية: "السلف كلهم متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة"[5]

وقال أيضاً: "إذا تحاكم اليهود والنصارى إلى المسلمين لم يجز لهم أن يحكموا بينهم إلا بما أنزل الله ﷻ في القرآن"[6]

وقال أيضاً عن القرآن: "إنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله ﷻ وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً، وبين الأدلة والبراهين على ذلك، وقرر نبوة الأنبياء عليهم السلام كلهم، ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها

---

1 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (6/ 210)
2 جامع البيان للطبري (8/ 490)
3 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (3/ 116)
4 مفاتيح الغيب للرازي (12/ 371)
5 مجموع الفتاوي لابن تيمية (17/ 43)
6 منهاج السنة النبوية لابن تيمية (5/ 508)

الرسل عليهم السلام كلهم، وجادل المكذبين بالكتب والرسل عليهم السلام بأنواع الحجج والبراهين، وبين عقوبات الله ﷻ لهم، ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبين ما حرف منها وبدل، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضاً ما كتموه مما أمر الله ﷻ ببيانه، وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن؛ فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة؛ فهو شاهد بصدقها، وشاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله ﷻ، ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات، حاكم في الأمريات"[1]

وقال ابن كثير: "جعل الله ﷻ هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها؛ حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهداً وأميناً، وحاكماً عليها كلها"[2]

وقال أيضاً: "باب فضل القرآن على سائر الكلام... قال رسول الله ﷺ: "**أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله**"[3]، وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم؛ القرآن الذي شرفه الله ﷻ على كل كتاب أنزله، وجعله مهيمناً عليه وناسخاً له وخاتماً له؛ لأن كل الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة، وهذا القرآن نزل منجماً بحسب الوقائع؛ لشدة الاعتناء به وبمن أنزل عليه، فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة"[4]

1 مجموع الفتاوي لابن تيمية (17/ 44)
2 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (3/ 116)
3 مسند أحمد (33/ 219) حديث رقم (20015)
4 فضائل القرآن لابن كثير ص 175

وقال ابن باز: "القرآن هو أفضلها وخاتمها، وهو المهيمن والمصدق لها، وهو الذي يجب على جميع الأمة اتباعه وتحكيمه مع ما صحت به السنة عن رسول الله ﷺ؛ لأن الله ﷻ بعث رسوله محمداً ﷺ رسولاً إلى جميع الثقلين، وأنزل عليه هذا القرآن ليحكم به بينهم، وجعله شفاء لما في الصدور، وتبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين"[1]

وقال ابن عثيمين: "القرآن العظيم الذي أنزله الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ خاتم النبيين ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ البقرة: ١٨٥، فكان ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾ ﴾ المائدة: ٤٨، فنسخ الله ﷻ به جميع الكتب السابقة، وتكفل بحفظه عن عبث العابثين، وزيغ المحرفين ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩؛ لأنه سيبقى حجة على الخلق أجمعين إلى يوم القيامة، أما الكتب السابقة فإنها مؤقتة بأمد ينتهي بنزول ما ينسخها، ويبين ما حصل فيها من تحريف وتغيير؛ ولهذا لم تكن معصومة منه، فقد وقع فيها التحريف والزيادة والنقص"[2]

هذا غيض من فيض خصائص القرآن الكريم ومميزاته، فهو الفرقان الذي أنزل بالحق وبالحق نزل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، سراج الهداية وكتاب الإيمان ودليل التوحيد.

1 مجموع فتاوى ابن باز (1/ 20)
2 مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (3/ 242)

جمع وتدوين القرآن وكيفية التعامل معه

أولاً: جمع القرآن العظيم:

1. تعريف الجمع في اللغة والاصطلاح:

لفظ الجمع في اللغة: مصدر يدل على ضم الأشياء إلى بعضها للحصول عليها مجتمعة، فيقال: جمعت الشيء؛ أي جمعته كله جميعاً، وجاء بزيادة الهمزة؛ كقول: أجمعت الشيء؛ أي جعلته مجمّعاً في مكان واحد[1]

وقال الراغب الأصفهاني: "الجمع: ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع"[2]

وقال ابن منظور: "جَمَعَ الشيءَ عن كل تفرقة يجمعه جمعاً، واستجمع السيل: اجتمع من كل موضع، وجمعت الشيء: إذا جئت به من هنا وهنا، وتجمَّع القوم: اجتمعوا أيضاً من هنا وهنا"[3]

وقال الفيروز أبادي: "الجمع: تأليف المتَفَرِّق"[4]

في الاصطلاح الشرعي فيراد به معنيان، بيانهما فيما يأتي:

المعنى الأول: جمع كلام الله ﷻ في الصدور غيباً عن ظهر قلب، حيث قال ﷻ:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ القيامة: ١٧

المعنى الثاني: كتابة كلام الله ﷻ في السطور، ويدل على ذلك قول عمر لأبي بكر رضي الله عنهما: "وإنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن"[5]

---

1 الصحاح للجوهري (3/ 1199)
2 المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (1/ 201)
3 لسان العرب لابن منظور (8/ 53)
4 القاموس المحيط للفيروز أبادي (1/ 710)
5 صحيح البخاري (6/ 183) حديث رقم (4986)

وقول أبي بكر لزيد بن ثابت رضي الله عنهما: "فتتبّع القرآن فاجمعه"[1]؛ أي اجعله كلّه مكتوباً مجموعاً معاً.

وقد جمع القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ وفي عهد خلفيتيه؛ أمّا في عهد النبي ﷺ فقد كان حفظه متواتراً في الصدور، ومكتوباً في السطور، وفي خلافة الصديق رضي الله عنه كانت آيات وسور القرآن المكتوبة مفرّقة؛ فتمّ جمعها في مصحف واحد، وفي عهد عثمان رضي الله عنه تمّ كتابة القرآن ونسخه، وأطلق العلماء تجوّزاً على هذا العمل جمع القرآن الكريم.

أولاً: جمع القرآن في عهد الرسول ﷺ:

زاد نزول القرآن الكريم مفرقاً من حرص النبي ﷺ من عدم تفلت شيء منه، فكان يردّد كل ما يلقيه عليه جبريل عليه السلام قبل انتهائه من تلقينه، فنزل قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ القيامة: ١٧ - ١٨؛ وبعد نزول الآية كان يصمت إلى حين انتهاء الوحي من تلقينه، ثمّ يستدعي الكَتَبَة من الصحابة رضي الله عنهم؛ ليكتبوا كل ما ينزل من القرآن الكريم.

وكان جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ؛ ليعرض عليه القرآن الكريم كل سنة في ليالي شهر رمضان، وقد عرضه عليه مرتين في آخر سنة من حياته ﷺ، ولما توفي النبي ﷺ كان الكتاب العزيز مجموعاً في قلوبهم ومحفوظاً في ذاكرتهم، فقد حرص الصحابة رضي الله عنهم على حفظ القرآن الكريم أولاً بأول.

ومن أبرز من حفظ القرآن كاملاً في عهد النبي ﷺ، وكانوا أئمّةَ هدى في تعليم

1 صحيح البخاري (6/ 183) حديث رقم (4986)

المسلمين، وإقرائهم إيّاه الخلفاء الراشدون، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، إضافة إلى عبد الله بن مسعود، وسالم بن معقل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد بن السكن، وأبو الدرداء، وسعيد بن عبيد ﷺ، كما كان القرآن الكريم محفوظاً بالكتابة عند وفاة النبي ﷺ، إلّا أنّه لم يُجمع في مكان واحد.

ولم تكن كتابته منسقةً، فكانت السورة أو مجموعة السور تكتب على أحجار، ثمّ تربط معاً بخيط، ويتم وضعها في بيت من بيوت أمهات المؤمنين، أو توضع عند أحد كتّاب الوحي، كزيد بن ثابت، وعليّ بن أبي طالب، وأُبي بن كعب ﷺ، وكان بعض الصحابة ﷺ يكتبون لأنفسهم بشكل خاص، وقد ورد سببان لعدم كتابته وجمعه في مكانٍ واحد، وهما:

السبب الأول: أنّ الصحابة ﷺ كانوا يترقّبون نزول الوحي على النبي ﷺ في أيّ حين، وينشغلون بذلك ليحفظوا ما ينزل.

السبب الثاني: أنّ أدوات الكتابة، وما يلزم لها لم تكن متوفّرةً بشكل كافٍ في ذلك الوقت.

حفظ القرآن في الصدور:

اختار المولى ﷻ النبي ﷺ بالرسالة الخاتمة وأنزل عليه القرآن الكريم؛ فأحسن النبي ﷺ استقبال القرآن، حفظاً واستيعاباً وامتثالاً وتبليغاً، وممّا يدلّ على ذلك:

قوله ﷻ: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة: ١٦ - ١٩، حيث تدلّ الآيات دلالة واضحة على حرصه ﷺ وخوفه من انفلات كلام الله ﷻ من لسانه؛

فجاءت الآيات تطمئنه؛ ولذا فقد مكن الله ﷻ نبيّه ﷺ من حفظ القرآن الكريم حفظاً تامّاً

ومتقناً، فكلّما نزلت آيةً هيّأ الله ﷻ نبيّه ﷺ؛ ليحفظها في صدره، ويَعِيَها في قلبه فهماً وتدبُّراً.

وقوله ﷻ: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾ الأعلى: ٦، فالقرآن لن يُنسى من قلب النبي ﷺ، ولن تكون هناك أي مشقّة عليه؛ فالله ﷻ قد رفعها عنه.

وقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ المزمل: ١ - ٤، وهو موقف جلل للنبي ﷺ في إظهار أهمية القرآن في حياته، يحيي به ليله، ويتدبّر معانيه، ويتلو آياته، ويداوم على ذلك حتى تتفطر قدماه الشريفتان؛ تلبيةً لأوامر ربّه ﷻ.

تدارس النبي ﷺ مع جبريل عليه السلام القرآن الكريم في كل عام مرّةً؛ حتى يزيد قلب النبي ﷺ ثباتاً وحفظاً، وتدارسه مرتين قبل وفاته، وقد كان النبي ﷺ يستأنس بالقرآن، ويطبق أوامر ربه ﷻ، ويجتنب نواهيه، ويقيم المواعظ والعبر؛ فيعظ الناس كافّةً، كما حرص على تعليمه صحابته رضي الله عنهم وتبليغهم إيّاه؛ إذ إنّ الصحابة رضي الله عنهم لم يقصّروا لحظةً من أعمارهم في كتاب الله ﷻ؛ فجعلوه ميدانهم الأسمى في السباق إلى الله ﷻ، فهم ينهلون من نَبع معانيه، ويتسابقون في حفظه وتلاوته، ويتدارسون علومه وأحكامه، وكانوا يأخذونه من النبي ﷺ مباشرةً تلقّياً، وسماعاً.

خصائص جمع القرآن الكريم وحفظه في الصدور:

1. الحفظ في الصدور أول علم تأسَّس من علوم القرآن.

2. التكفُّل من الله ﷻ بحفظه من التحريف والتبديل إلى يوم الجزاء.

3. الحفظ في الصدور من أعظم خصائص الجمع؛ فلم تكن أي أمّة قبل أمّة القرآن تجمع كتابها في الصدور.

4. وجوب حفظ القرآن في صدر كل مسلم، ولو شيئاً يسيراً منه؛ ليتلو ما حفظه في الصلاة، بخلاف كتابته فلا تجب على مسلم.

كتابة القرآن في السطور:

لم يدع النبي ﷺ جمع القرآن الكريم خاصّاً بالصدور فحسب، ولكنّه اهتم بجمعه وحفظه في السطور أيضاً؛ تمكيناً وتثبُّتاً في الجمع والحفظ، فكان يُوكل مهام الكتابة إلى كتبة الوحي؛ فكلّما نزلت آيةً أو سورةً، أمر النبيّ ﷺ بكتابتها، فيتمّ بذلك حفظها.

وهذا مما يؤكّد حرصه الشديد على جمع كتاب الله ﷻ مكتوباً في السطور، ومحفوظاً في الصدور، وعليه فإنّ القرآن الكريم تمّت كتابته كلّه في العهد النبوي، وإن كان مفرّقاً، مما يعني أنّ لكتابة القرآن الكريم زمن النبي ﷺ أهميةً كبيرةً ظهرت في حياته وبعد وفاته ﷺ.

أدلة على أنّ القرآن الكريم مكتوباً في السطور في العهد النبويّ:

ورود لفظ الكتاب ومشتقّاته في القرآن، حيث قال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴿٢﴾ ﴾ البقرة: ٢، مما يدل على أنّه كان مكتوباً.

ورود صفة ثابتة للقرآن الكريم؛ وهي صفة الكتابة، حيث قال ﷻ: ﴿ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞۚ ﴿٣﴾ ﴾ البينة: ٢ - ٣

ورود أحاديث كثيرة تدل على أنّ القرآن تمت كتابته في عهد النبوي، منها: ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما، حيث قال: "**أنَّ رسول اللَّه ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو**"[1]

ورود إذن النبي ﷺ لصحابته ﷺ بكتابة القرآن الكريم، حيث قال: "**لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه**"[2]

ثبوت أنّ للنبي ﷺ كتّاباً يكتبون ما كان ينزل من القرآن، وثبوت أنّ النبي ﷺ كان يرشد الصحابة ﷺ في كيفيّة كتابة الآيات والسُّوَر، وكيفية وضعها في مواضعها الصحيحة، وثبوت أنّ النبي ﷺ كان يراجع ما تتمّ كتابته من قِبل صحابته ﷺ، ويقرؤه، ويُشار إلى أنّ القرآن كُتب في زمن النبي ﷺ بأدوات الكتابة اليسيرة التي توفّرت آنذاك، منها:

1. **الرقاع**: ومفردها رقعة؛ وهي من الجلد، وقيل من غيره، كالقماش، أو الورق، وهي أغلب أدوات الكتابة"[3]
2. **الأكتاف**: ومفردها كتف؛ وهي العظام العريضة التي تكون من أصل كتف الحيوانات"[4]
3. **العُسب**: ومفردها عسيب؛ وهي جرائد النخيل، كانت تكشط ثمّ يكتب على المنطقة الواسعة منها"[5]
4. **اللخاف**: ومفردها لخفة؛ وهي صفائح من الحجارة"[6]

---

1 صحيح البخاري (4/ 56) حديث رقم (2990)، صحيح مسلم (3/ 1490) حديث رقم (1869)
2 صحيح مسلم (4/ 2298) حديث رقم (3004)
3 دراسات في علوم القرآن الكريم للرومي ص 75
4 المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شُهبة ص 266
5 مناهل العرفان في علوم القرآن للزُّرقاني (1/ 246)
6 فضائل القرآن لابن كثير ص 55

5. **الأقتاب**: ومفردها قتب؛ وهي قطع خشبيّة توضع على ظهر البعير الذي يركب الإنسان عليه"[1]

مزايا جمع القرآن بحفظه في السطور ما يأتي:

1. الزيادة في توثيق القرآن.
2. ترتيب الآيات، أمّا ترتيب السور؛ ففيه خلافٌ.
3. كتابته على الأحرف السبعة.

كتّاب الوحي في عهد النبي ﷺ:

كان عددُ كتّاب الوحي في عهد النبي ﷺ ما يُقارب الأربعة والأربعين كاتباً، وكانوا يضعون ما يكتبونه في حجرات النبي ﷺ، ومن أشهرهم:

1. عبد الله بن سعد بن أبي السّرح رضي الله عنه: وهو أوّل من كتب للنبي ﷺ في مكّة؛ حيث كان من القلّة الذين يعرفون الكتابة، ولكنّه ارتدّ عن الإسلام، فتوقّف عن الكتابة، وعاد إليها بعد أن رجع إلى الإسلام بعد فتح مكة.
2. عُثمان بن عفان بن أبي العاص رضي الله عنه: وهو أحد الخُلفاء الراشدين.
3. علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وهو أحد الخُلفاء الراشدين، وكان ممّن كتب أكثر التنزيل.
4. أُبيّ بن كعب بن قيس رضي الله عنه: وهو أوّل من كتب الوحي عند قدومه إلى المدينة، وكان من قُرّاء الصحابة.
5. زيد بن ثابت رضي الله عنه: وكان من أكثر الكُتّاب مُلازمةً للكتابة؛ لأنّ ذلك كان عمله الوحيد.

1 الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (1/ 207)

6. مُعاوية بن أبي سُفيان رضي الله عنه: حيث عرض أبوه على النبي ﷺ أن يكون ابنه من كُتّابه، فوافق على ذلك، فلازمه في الكتابة.

الأدلة على حفظ القرآن الكريم:

تكفّل الله ﷻ بحفظ القُرآن الكريم من الزيادة أو النقصان أو الضياع، ودلّ على ذلك الكثير من الأدلة، ومنها ما يأتي:

1. قوله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩

قال الطبري: "هذه الآية بأن الله ﷻ حفظ القرآن من الزيادة أو النقصان؛ سواءً كان ذلك في حروفه، أو أحكامه، أو حدوده، أو فرائضه"[1]

2. قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: ٤١ - ٤٢

قال الطبري: "إن هذا القرآن عزيز بعز الله ﷻ الذي أنزله، فلا يقدر أحد على تغييره، أو تبديله، أو تحريفه، ولا يقدر أحد على تبديل معانيه، أو إلحاق ما ليس فيه به، سواءً كان إنسان أو شيطان"[2]

3. قوله ﷻ: ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الكهف: ٢٧

قال ابن كثير: " يقول ﷻ آمراً رسوله ﷺ بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس لا مبدل لكلماته أي إنه لا مغير أو محرّف ولا مزيل أو مؤوّل لكلام الله ﷻ"[3]

1 جامع البيان للطبري (14/ 18)
2 جامع البيان للطبري (20/ 443)
3 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (5/ 137)

وقال السعدي: "إنه لا مغير أو مبدل لصدق وعدل كتاب الله ﷻ"[1]

4. قوله ﷻ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٨ - ٤٩ ؛ فكتاب الله ﷻ محفوظ في صدور أهل العلم، ولا يمكن لأحد تغييره.

5. قوله ﷻ: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الحاقة: ٤٤ - ٤٧ ؛ أي إن الله ﷻ توعّد من يحاول الزيادة أو النقص أو الافتراء من كتابه بالعُقوبة العاجلة.

6. قوله ﷻ: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ الزخرف: ١ - ٤؛ فوصف الله ﷻ لكتابه بالعلوّ والرفعة دليل على حفظه من التغيير والتحريف، وقال ابن كثير: "إن كلمة ﴿ حَكِيمٌ ﴾ تعني أنه بعيد عن اللّبس والتحريف"[2]

7. قوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ البقرة: ٢؛ فالقرآن محفوظ من كل شك، وتحريفه وتغييره من أعظم أنواع الشك التي نفاها الله ﷻ عن كتابه الكريم.

وعن عياض بن حمار المجاشعي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه ﷻ: "إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً

1 تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 475
2 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (7/ 200)

ويقظان"[1]،أي أن القرآن محفوظ في الصدور، لا يتغيّر على مدار الأزمان ولو غسلت جميع المصاحف بالماء.

أسباب أدّت إلى حفظ القرآن:

قد حرص النبي ﷺ منذ نزول الوحي على القرآن بحفظه وإظهاره، فكان يستعجل حفظه بتحريك لسانه في شدّة وحرج؛ مخافة نسيانه، فقال ﷻ له: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة: ١٦ - ١٩، فأمره الله ﷻ بأخذ الوحي، وهو ﷻ يتكفّل بحفظ القرآن وجمعه وبيانه وتفسيره له، وكان الوحي يراجع القرآن مع في كل عام مرة واحدة، وفي العام الذي توفّي فيه النبي ﷺ راجعه معه مرّتين، وكان النبي ﷺ يراجعه في جميع أوقاته؛ كصلاته، وسفره، وحضره، وكان يأتمر بأمره، ويجتنب نواهيه، ويبلغه للناس، مما جعل الصحابة ﷺ يُلازمونه، ويتعلمون القرآن منه ويحفظونه، ومن الأسباب التي ساعدت على حفظ القرآن الكريم إضافةً إلى ما سبق ما يأتي:

1. تميّز أسلوب القرآن الكريم ونظمه البليغ.
2. تشريع قراءته في الصلوات، سواءً كانت فرضاً أم نافلة، سراً أم جهراً.
3. تعلُّقه بالتشريعات والأحكام الشرعيّة وأُمور الحياة، كالصلاة، والمعاملات، والعبادات، وغير ذلك.
4. ترتيب الأجر والثواب على قراءته، وحفظه، وتعلُّمه، وتعليمه.

1 صحيح مسلم (4/ 2197) حديث رقم (2865)

ثانياً: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ:

في بداية الأمر لم تكن هناك حاجة ماسّة لجمع كتاب الله ﷻ في مكان واحد في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ إلى أن حدثت حروب الردّة التي خلّفت الكثير من القتلى، وكان أغلبهم من حفظة الكتاب، وهو السبب الرئيسي الذي أدّى إلى خوف عمر بن الخطاب ﷺ من أن يضيع القرآن، فعرض فكرة الجمع على أبي بكر ﷺ، وعلى الرغم من أنّ الصديق ﷺ رفض في البداية؛ لأنّه أمر لم يقم به النبي ﷺ، إلّا أنّ عمر ﷺ بقي يذكّره أنّه أمر خير للمسلمين حتى طمأنّ الله ﷻ قلب أبي بكر ﷺ لجمعه، فأمر زيد بن ثابت ﷺ بجمعه، **وقد اجتمعت في زيد ﷺ خصال حميدة، ومزايا عديدة اختير أن يكون ممن يجمع القرآن الكريم، وهي:**

1. قوّة الشباب فيه، وعدم فتور همّته.
2. فطانة عقله ورجاحته، ممّا يعني شدة وَعيه بما يؤدّيه من عمل.
3. عدم اتّهامه في دينه؛ فهو ثقةٌ لم يتّهم بتجريح، أو فسق، أو ما شابه.
4. اعتباره أحد كتّاب الوحي الأوائل في عهد النبي ﷺ؛ وهذه ميزة له.
5. استحسان خطّه، وحرص ضبطه.
6. حضوره العرضة الأخيرة للقرآن الكريم بين يدي النبي ﷺ.

مزايا جمع القرآن في عهد الصديق ﷺ:

1. تدوين القرآن الكريم كاملاً، وضبطه بالكتابة.
2. اطمئنان الصحابة ﷺ لحفظ القرآن وزوال الخوف عليه من موت الحفظة.
3. جمعه كله في مكان واحد، بعد أن كان أجزاءً مفرّقةً.
4. إجماع الصحابة ﷺ كلهم عليه.

5. اعتباره المرجع والمصدر الذي يتم الرجوع إليه وقت الحاجة.

6. زوال الشُّبهة من قلوب الصحابة ﷺ، والتي كانت موسومةً ببدعة الجمع.

7. احتوى على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم جميعها في مصحف واحد مرتَّب بالآيات، والسُّوَر، فكان الجمع على أدقّ وأكمل وجه.

8. كانت الصُّحُف متواترةً؛ إذ رُوِيت عن عدد كبير لا يمكن اجتماعهم على الكذب؛ ولذلك فقد أجمعت الأمّة على ذلك الجمع.

ويضاف إلى ما سبق أنّ الصُّحف التي جُمعت وافقت ما جاء في العرضة الأخيرة للقرآن الكريم من النبي ﷺ، واقتصرت على ما لم يُنسَخ تلاوةً.

ثالثاً: جمع القرآن في عهد عثمان بن عفّان ﷺ:

اختلفت أسباب عملية الجمع التي تمت في عهد عثمان ﷺ عن عملية الجمع في عهد الصديق ﷺ؛ فكانت غاية الجمع الرئيسية في عهد الصديق ﷺ جمع القرآن الكريم في مصحف واحد، حافظ على ترتيب السور وتسلسل الآيات، ولم تكن الغاية منه إلغاء جميع المصاحف الأخرى، والتي كانت عند الصحابة ﷺ وما حوته من تفسيرات، أو أدعية، أو أقوال، أو غيرها.

ففي عهد عثمان ﷺ أخذ كل صحابي يُقرئ المسلمين القرآن ببلد؛ فكانت القراءات متباينةً بحسب ما أُنزل على الرسول ﷺ من الأحرف السبعة، والصحابة ﷺ كل منهم يعلم كما علمه النبي ﷺ حرفاً وقراءةً، فأدّى ذلك إلى تعدُّد القراءات، وتباين المقرئين من الصحابة ﷺ في كل بلد، فأبيّ بن كعب ﷺ كان في الشام، وابن مسعود ﷺ في العراق، وغير ذلك، ووردت اختلافاتهم في كيفيّة الأداء، وتعدّد وجوه

بعض القراءات، فدخل التعجب بينهم، وإنكار بعضهم قراءة بعض، بحجة أنّه لم يسمعها من النبي ﷺ مباشرةً.

وقد عاين الصحابي حذيفة بن اليمان ﷺ الاختلاف بين الناس في فتح بلاد أرمينية وأذربيجان، فكان بعضهم يُجرّح بعضاً، فأخبر أمير المؤمنين وقتئذ بما رآه من اختلافات المسلمين في قراءاتهم ونزاعهم في ذلك، فأرسل عثمان ﷺ إلى أمّ المؤمنين حفصة رضي الله عنها بأن ترسل إليه ما عندها من الصُّحف؛ حتى يتمّ نسخها، ثمّ يردّها إليها.

واختار عثمان ﷺ زيداً ﷺ ومجموعةً من الصحابة القرشيّين للنسخ، وهم: عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ﷺ، فنسخوا الصُّحف إلى المصاحف، وأمرهم عند اختلافهم مع زيد ﷺ في كلمة أن يرجعوا إلى لسان قريش؛ فعليهم القرآن أُنزل، ثمّ أرسل عثمان ﷺ كل مصحف إلى بلد، وأمر بحرق ما سواها من المصاحف، ورَدّ الصُّحف إلى حفصة رضي الله عنها، وتمّ بذلك جمع القرآن الكريم في عهده.

مزايا جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ:

1. قطع بؤرة الخلاف بين المسلمين، واجتماعهم على مصحف واحد.
2. معرفة الوجوه المنسوخة في التلاوة لدى الكثير من الصحابة ﷺ.
3. معرفة القراءات الثابتة للقرآن الكريم، وتعلُّمها.
4. توزيع المصاحف المتّفق عليها في الأمصار بأمر أمير المؤمنين.
5. تمسُّك الأمّة الإسلاميّة بقراءة القرآن الكريم بما يوافق رسم المصاحف، وكتابتها.
6. التخلُّص من جميع الصحف التي لم تكن رسميّةً وجماعيةً.

أثر الجهود السابقة في حفظ القرآن الكريم:

كان للجهود السالفة دور جليل في خدمة كتاب الله ﷻ، والاعتناء به؛ فمن عهد النبوة كان القرآن محفوظاً بحفظ الله ﷻ له، ولم يدخله أي نقص، أو تحريف، أو تبديل، سواءً في اللفظ أو المعنى، ممّا يدلّ على إخلاص الجهود الجبّارة في حمله ونقله جيلاً بعد جيل.

وقد رعاه الله ﷻ وصانه بهم حتى بقي في شكله ومضمونه، بعيداً عن كل زَيغ وضلال، وقد حرصت الأمة الإسلامية على كتابها أعظم حرص، من أي زيادة أو نقصان، حتى وإن كانت رموزاً وعلامات، ويؤكّد ذلك قول ابن مسعود ﷺ: "جرّدوا القرآن ولا تخلطوه بشيء"[1]

انتشار المصاحف المنسوخة في العالم الإسلامي:

يعد ما فعله أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ من إرسال المصاحف المنسوخة إلى البلاد، بعدما جعل من المصحف نسخاً من أسباب انتشار المصاحف التي نسخت في العالم، كما أنّه أرسل مع كل مصحف قارئاً يُقرئ المسلمين هناك، حيث جعل زيداً ﷺ في المدينة، وأرسل عبد الله بن السائب ﷺ مع المصحف المكّي إلى مكّة، والمغيرة بن شهاب ﷺ مع المصحف الشاميّ إلى الشام، وأبا عبد الرحمن السلميّ ﷺ مع الكوفيّ، وعامر بن عبد القيس ﷺ مع البصري، وكانت قراءة كل قارئٍ توافق قراءة أهل البلد الذين أُرسل إليهم.

1 المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني ص 10

من اختير لجمع القرآن الكريم في عهوده الثلاثة؟

اختار الرسول ﷺ كتّابًا للوحي كان يدعوهم كلّما نزل الوحي، وهم: الخلفاء الراشدين الأربعة، ومعاوية بن أبي سفيان، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس، وخالد بن الوليد، وأبيّ بن كعب ﷺ، ويأمرهم بكتابة ما يتلوه عليهم من القرآن الكريم، وكان الكثير قد حفظ كل ما نزل من القرآن الكريم عن ظهر قلب، فسمّوا بالحفظة، فأصبح القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ في الصدور وعلى السطور.

وفي عهد خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصّدّيق ﷺ وبعد أن أقنعه عمر بن الخطّاب ﷺ بجمع القرآن الكريم، فأقنع أبو بكر ﷺ زيد بن ثابت ﷺ بتتبّع القرآن وجمعه، قال زيد ﷺ: قلت لعمر ﷺ:" كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر ﷺ: هذا والله خير"[1]، وقام بالمهمّة على أكمل وجه.

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفّان ﷺ قام بإحضار المصحف الذي أودع لدى حفصة رضي الله عنها وشكل لجنة من الصحابة: زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزّبير وعبد الرّحمن بن الحارث بن هشام ﷺ، وأمرهم بنسخه في مصحف واحد وعلى حرف واحد ونسخه عشرات النسخ، وتوزيعها على الأمصار، لتكون مرجعًا لهم، دفعًا للخلاف الذي ظهر بسبب وجوه القراءات.

الفرق بين جمع أبي بكر ﷺ وبين جمع عثمان ﷺ للقرآن الكريم:

كما تقدم، لقد مر القرآن الكريم بثلاثة مراحل من مراحل جمع القرآن الكريم، من كتابته وحفظه في عهد رسول الله ﷺ إلى جمعه وإيداعه في بيت أبي بكر الصّدّيق ﷺ في خلافته ثمّ نقل إلى بيت عمر بن الخطّاب ﷺ وبعد موته نقل إلى

1 صحيح البخاري (6/ 183) حديث رقم (4986)

بيت حفصة رضي الله عنها وفي خلافة عثمان بن عفّان ﷺ نسخ المصحف الذي كان في بيت حفصة رضي الله عنها على حرف واحد، ووزع على الأمصار، **وكان هنالك فرق بين الباعث لجمع القرآن الكريم، وفرق في كيفيّة جمعه:**

فالباعث على جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصّدّيق ﷺ كان خشية ضياع شيء من القرآن الكريم بموت حفظته، وتلف أو ضياع شيء ممّا كتب عليه القرآن الكريم، أمّا الباعث على الجمع في عهد عثمان بن عفّان ﷺ فهو ما وقع من خلافات بين المسلمين في وجوه قراءة القرآن الكريم وخوف الفتنة وشقّ الصّفّ بين المسلمين.

كان عمل أبي بكر الصدّيق ﷺ في جمعه للقرآن الكريم متوقفًا على جمع ما تفرّق من صحف القرآن الكريم، والتي هي عبارة عن العسب والأكتاف والرّقاع وغير ذلك في مصحف واحد مرتّبًا فيه الآيات والسّور، بينما في عهد عثمان ﷺ جلب المصحف الذي جمع في عهد أبي بكر ﷺ، وكان قد أودع في بيت حفصة رضي الله عنها بعد وفاة أبيها ونسخه على حرف واحد، ليدرأ الخلاف بين المسلمين في وجوه القراءات، ثمّ نسخه نسخًا عديدة، وأرسل بها إلى الأمصار والأقطار، لتكون مرجعًا لهم، وأحرق ما سواها من صحف، بالاتّفاق مع الصّحابة الكرام ﷺ.

مصير المصاحف بعد ذلك: المصحف الذي تمّ تجميعه ونسخه في عهد أبي بكر ﷺ، أعاده عثمان ﷺ إلى حفصة رضي الله عنها بعدما نسخه مئات النّسخ، وبعدما توفيت حفصة رضي الله عنها، قام أخوها بإتلاف المصحف، لأنه طلبه منه مروان من الحكم، فخوفًا من إثارة أمور خلافية حول الأحرف السّبعة والقراءات،

فقام بإتلافه، وفي عهد عثمان ﷺ نسخ المصحف المعتمد ملايين النّسخ، ولم يعرف بعد ذلك ماذا حلّ بتلك النّسخ.

ولابدّ من التأكيد على أنّ الأصل في الحفاظ على القرآن الكريم، هو حفظه في الصّدور، ونقله شفويًّا بالتّواتر، ولكن استخدمت الكتابة لزيادة التّوثيق، وما ذلك إلّا تحقيقًا لوعد الله ﷻ في حفظ القرآن الكريم من أيّ زيادة أونقصان، أو تحريف:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩

ثانياً: كيفية التعامل مع القرآن العظيم:

هناك أمور عدّة ينبغي على المسلم أن يُحقّقها؛ ليتمكّن من التعامل مع القرآن الكريم بطريقة صحيحة، ومنها ما يأتي:

1. الإيمان:

إذ يؤمن المسلم بأنّ القرآن الكريم إنّما أُنزل؛ ليُنظر في آياته، ويعمل بما جاء فيها، وهذا الإيمان هو المقصود في قول ابن عمر رضي الله عنهما: "لقد لبثنا بُرهةً من دهر وأحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، تنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أنْ يوقف عنده منها كما يتعلم أحدكم السورة، ولقد رأيتُ رجالًا يؤتَى أحدهم القرآن قبل الإيمان يقرأُ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يعرف حلاله ولا حرامه ولا أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أنْ يوقفَ عنده منه وينثره نثر الدَّقَلِ"[1]، وهذا النوع من الإيمان هو الذي دفع الصحابة ﷺ إلى المبادرة إلى تعلُّم السُّوَر، والعمل بما جاء فيها فَور نزولها.

1 المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 91) حديث رقم (101)

2. الالتفات إلى الأهداف الأساسيّة للقرآن الكريم:

يحرص قارئ القرآن الكريم على أن تكون نظرته إلى أهداف القرآن الكريم نظرة شموليّة كاملة تشمل التعرُّف على أغراضه، وأهدافه، ومقاصده، ومن شأن ذلك تمكينه من تحقيق هذه الأهداف والغايات في نفسه، وفيمن حوله، كما يحسن التعامل مع القرآن الكريم، ويتدبّره، ويفهم مَعانيه.

3. الاهتمام بالقرآن والعناية به:

يمكن تحقيق ذلك من خلال الإكثار من تلاوة القرآن الكريم، وتدبُّر مَعانيه، والاستماع إليه بخشوع وحضور قلب؛ لأنّه يُرشد إلى طريق الهُدى؛ قال ﷻ: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ﴿٥٢﴾ ﴾ إبراهيم: ٥٢، كما قال ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: ٢٤

4. وضع القرآن الكريم في أعلى سُلَّم الأولويّات:

يمكن تحقيق ذلك من خلال الاهتمام بالقرآن الكريم، وتخصيصه بأفضل وقت، وأطول فترة ممكنة؛ لأنّ القرآن يُعطي المسلم ويُكرمه على قَدر ما يُعطيه المسلم من اهتمام؛ قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ الواقعة: ٧٧

5. تعظيم القرآن الكريم وتنزيهه:

يقول النووي: "إنّ إجماع المسلمين حاصل في وجوب تعظيم القرآن الكريم، وتنزيهه، وصيانته عن أيّ امتِهان"[1]، **ويكون تعظيم القرآن الكريم من خلال تحقيق أمور عدّة، ومنها ما يأتي:**

1 المجموع شرح المهذب للنووي (2/ 170)

1. الحرص على الطهارة عند قراءة القرآن؛ فلا يقرأ إن كان جنباً، أو في حال الحيض للنساء، كما يستحب أن يسأل الله ﷻ الجنّة عندما يَمرّ بالآيات التي تتحدّث عنها، ويستعيذ به من النار عند مروره بالآيات التي تذكرها، ويسجد في آيات السجود، ويعترف لربّه ﷻ بما يقرره لنفسه في كتابه.

2. الحرص على أن يكون المكان الذي يُقرأ فيه القرآن مؤهلاً لذلك؛ فقد كره العلماء القراءة في مكان قضاء الحاجة، وكرهوا أيضاً القراءة لمن أكل بصلاً، أو ثوماً حتى تذهب رائحته، أو حال قضاء الحاجة؛ لما في ذلك من الفُحش؛ بهدف تعظيم الله ﷻ، واحترام كلامه، وإكرام ملائكته؛ لأنّ الملائكة تتأذّى مما يتأذّى منه بنو آدم، كالنجاسة، والقذارة، والروائح الكريهة، ومِن ذلك قول النبي ﷺ لأُسيد بن حضير رضي الله عنه عندما أخبره أنّه قرأ القرآن ووجد مثل الظُّلّة عنده؛ فقال: "**تلك السَّكينة جاءت تستمع القرآن**"[1]

3. الحرص على حفظ كتاب الله ﷻ، وتعظيم أهله، وحفظ حدوده، وتعلُّم حلاله وحرامه، وتطبيق أحكامه، والحرص على تعلُّمه، وتعليمه.

4. الحرص على استقبال القبلة، والجلوس بخشوع وسكينة ووقار في غير الصلاة.

5. احترام القرآن الكريم: ويمكن أن يُحقّق القارئ ذلك من خلال تجنُّب النَّظَر إلى ما من شأنه أن يلهي قلبه، وتجنُّب العبث بأيّ شيء، والانتهاء عن الضحك، وتجنُّب اختلاط الأصوات، أو الكلام إلّا في حال الاضطرار إلى ذلك، متمثلاً قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٤، وهذا منهج الصحابة رضي الله عنهم في التعامل مع القرآن الكريم.

1 المعجم الكبير للطبراني (1/ 208) حديث رقم (564)

6. الاستياك عند قراءة القرآن الكريم: إذ يستحبّ لقارئ القرآن أن ينظّف فمه، وأسنانه بالاستياك عند البدء بقراءته، ويجوز أن ينظّف بعود الآراك، أو بغيره من العيدان، أو بفرشاة الأسنان، وغيرها.

حال السَّلَف مع القرآن الكريم:

حرص الصحابة ﷺ على الإكثار من قراءة القرآن الكريم في أحوالهم جميعها، وحتى في المجالس، والطرقات، وقد كان عثمان بن عفان ﷺ يتلو كتاب الله ﷻ حين قُتِل، وكان المصحف في يده، وكان منهم من إذا قرأ الآيات التي تتحدّث عن الفُجّار والجاحدين، حمد الله ﷻ على أنّه ليس منهم، وكانوا يقولون عندما يقرؤون قوله ﷻ: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ التوبة: ١٠٢، نحن منهم، وهو حال معظم الناس؛ فهناك من يستيقظ لصلاة الفجر، ويتلو آيات من القرآن الكريم، ويقرأ الأذكار، إلّا أنّه إذا مَرّ بغيبة، أو نميمة، فقد لا يتورّع عن الخوض فيها، إلى جانب ما يلاقيه من فتن مختلفة وهو يسعى إلى عمله، ورُبّما غضب وثأر لنفسه؛ فينطبق عليه ما وصفته به الآية الكريمة.

وقد ضرب السَّلف أروع الأمثلة في تعاملهم مع القرآن الكريم، ومن أولئك تميم الداريّ ﷺ الذي قضى الليل كله يركع، ويسجد، ويبكي في آية واحدة؛ وهي قوله ﷻ: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ العنكبوت: ٤، وكان دأبهم الحرص على العمل بما علموه من القرآن الكريم أكثر من حرصهم على الحفظ دون العمل بما حفظوه، حتى أنّه نُقل عن قُرّاء

القرآن الكريم، كعثمان بن عفان، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما، وغيرهما أنّهم كانوا كلّما تعلّموا عشر آيات من القرآن الكريم من رسول الله ﷺ، لم يتجاوزوها إلّا بعد أن يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل، ولذلك قالوا: "تعلّمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً"[1]

إذن فيعدّ القُرآن الكريم كتاباً كاملاً وشاملاً للحياة، وينبغي على قارئه حُسن التعامل معه، ومن حسن التعامل معه التأثُّر به، والنظر إلى الجوانب التي يهتم بها، مع الالتفات إلى الأهداف الأساسيّة له، وإلى مقاصده الرئيسيّة؛ فالله ﷻ لم ينزل القرآن ليكون كتاباً للرقية أو للاستشفاء به، أو لقراءته عند الأموات أو في بيوت العزاء فقط، إنّما ينبغي للمُسلم النظر إليه على أنّه كلام وكتاب الله ﷻ؛ فيقول ويحكم به، ويلتزم بأوامره، ويثق به، ويدعو الناس إليه، مع استشعار أنّ كلام القرآن موجّهٌ له، وأنّه هو المخاطب بآياته؛ وذلك باتّباع أوامره واجتناب نواهيه، وأخذ العبرة من قصصه.

1 مجموع الفتاوي لابن تيمية (4/ 70)

قال ابن تيمية: "ومن أصغى إلى كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام لا منظومه ولا منثوره"[1]

1 اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية (2/ 270)

تدبر القرآن

أولاً: تعريف التدبر:

أولًا: المعنى اللغوي:

أصل مادة (دب ر) تدل على آخر الشّيء وخلفه، فمعظم الباب أنّ الدّبر خلاف القبل[1]، ودابرت فلانًا: عاديته[2]، وذلك أن يترك كل واحد منهما الإقبال على صاحبه بوجهه[3]، ورجل أدابر: يقطع رحمه؛ وذلك أنّه يدبر عنها ولا يقبل عليها"[4]

والتدبير: أن يعتق الرجل عبده عن دبر، وهو أن يعتق بعد موته، والتّدبير أيضًا: أن يدبّر الإنسان أمره، وذلك أنّه ينظر إلى ما تصير عاقبته، ودُبُره يعني: آخره"[5]

وتدبّر الكلام: النظر في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرة بعد مرة؛ ولهذا جاء على وزن التفعّل كالتجرّع والتفهّم والتبيّن[6]، ودبّر الأمر أي: فعله بعناية وعن فكر ورويّة، أو نظر فيه وصرّفه على ما يريد"[7]

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

قال الجرجاني: "التدبر: عبارة عن النظر في عواقب الأمور"[8]

قال ابن القيم: "تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبّره وتعقّله"[9]

وقيل في معناه: "هو التفكر الشامل الموصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة"[10]

---

1 مقاييس اللغة لابن فارس (2/ 324)
2 الصحاح للجوهري (2/ 655)
3 مقاييس اللغة لابن فارس (2/ 324)
4 مقاييس اللغة لابن فارس (2/ 325)
5 لسان العرب لابن منظور (4/ 273)
6 دستور العلماء للقاضي نكري (2/ 269)
7 تاج العروس للزبيدي (11/ 265)
8 التعريفات للجرجاني ص 54
9 مدارج السالكين لابن القيم (1/ 449)
10 قواعد التدبر الأمثل للميداني ص 10

وقيل: "هو تفهّم معاني ألفاظ القرآن والتفكر فيما تدل عليه آياته، وما دخل في ضمنها وما لا تتم إلا به، مما لم يعرّج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات وانتفاع القلب بذلك بخشوعه عند مواعظه وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه"[1]

فبهذا تتضح العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، إذا خص التدبر في المعنى الاصطلاحي بالتفكر والتأمل في كلام الله ﷻ.

تعريف تدبر القرآن:

قال الزمخشري: " تأمل معانيه وتبصر ما فيه"[2]

وقال أيضاً: "التفكر فيها، والتأمل الذي يؤدى إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة؛ لأن من اقتنع بظاهر المتلو، لم يحل منه بكثير طائل، وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها، ومهرة نثور لا يستولدها"[3]

قال الخازن: "تأمل معانيه وتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات"[4]

قال القرطبي: "هو التفكر فيه وفي معانيه"[5]

قال أبو حيان: "هو التفكر في الآيات، والتأمل الذي يفضي بصاحبه إلى النظر في عواقب الأشياء"[6]

قال السعدي: "هو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك"[7]

1 تدبر القرآن لسليمان السنيدي ص 64
2 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (1/ 540)
3 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (4/ 90)
4 لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (1/ 402)
5 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (5/ 290)
6 البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (9/ 153)
7 تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 189

وقال ابن عاشور: "هو تعقب ظواهر الألفاظ ليعلم ما يدبر ظواهرها من المعاني المكنونة والتأويلات اللائقة"[1]

إذن تدبر القرآن: هو النظر والتمعن والتأمل في آيات القرآن الكريم للوصول لمراد الله ﷻ، والوقوف عليها للانتفاع بها إيماناً وعلماً وعملاً، والتفكر في معانيها وما يأول إليه، بقصد اتعاظ القلب والاعتبار والاستبصار، وامتثال الجوارح.

ثانياً: الألفاظ ذات الصلة:

1. التفسير:

التفسير لغةً:

هو بيان الشيء وإيضاحه، من ذلك الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسّرته[2]

التفسير اصطلاحًا:

علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله ﷻ بقدر الطاقة البشرية[3]

الصلة بين التدبّر والتفسير:

إن التدبر لا يكون إلا بعد معرفة التفسير الصحيح للآية، وأن المقصود الأصلي للتفسير هو: بيان معاني كلام الله ﷻ، ومقصود التدبر هو: الاتعاظ والاعتبار.

2. التأويل:

التأويل لغةً:

1 التحرير والتنوير لابن عاشور (23/ 252)
2 العين للفراهيدي (7/ 248)
3 مناهل العرفان للزّرقاني (2/ 3)

التأويل من الأول، أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه: الموئل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه، علمًا كان أو فعلًا[1]

وقيل: من (الإيالة)، وهي السياسة، كأن المؤول للكلام يسوسه ويضع المعنى في موضعه[2]

التأويل اصطلاحًا:

عند السلف المتقدمين: كانوا يطلقون مصطلح التأويل على التفسير، وعند المتأخرين: (التأويل): هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، بما لا يخالف نصًّا من كتاب الله ﷻ ولا سنّة رسول الله ﷺ.[3]

الصلة بين التدبّر والتأويل:

على اعتبار أن التأويل بمعنى التفسير، فيكون الفرق بين التدبر والتأويل نفس الكلام المذكور سابقًا، أما على المعنى الثاني، فيلتقي التأويل مع التدبر في الغايات والمقاصد، لكن التدبر لعامة المؤمنين، والتأويل لأهل العلم والنظر.

3. الاستنباط:

الاستنباط لغةً:

كلمة تدل على استخراج شيء، واستنبطت الماء: استخرجته، والماء نفسه إذا استخرج نبط، ويقال: إنّ النّبط سمواً به لاستنباطهم المياه[4]

الاستنباط اصطلاحًا:

هو استخراج ما خفي من النص بطريق صحيح[5]

1 المفردات للراغب الأصفهاني ص99، لسان العرب لابن منظور (11/ 32)
2 الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (4/ 192)
3 معجم علوم القرآن لإبراهيم الجرمي ص 78
4 مقاييس اللغة لابن فارس (5/ 381)
5 مفهوم التفسير لمساعد الطيار ص 160

الصلة بين التدبّر والاستنباط:

إن التدبر أصل الاستنباط، فلا يمكن الاستنباط من النص قبل تدبّره، وأن التدبّر يعم العلماء وغيرهم؛ لأنه متوجه للمقاصد الأصلية للقرآن، والاستنباط خاصٌّ بأولي العلم فقط؛ لأنه يكون لدقائق الأمور.

4. التفكّر:

التفكّر لغةً:

تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر إذا ردّد قلبه معتبرًا، ورجل فكّير: كثير الفكر[1]

التفكّر اصطلاحًا:

تصرّف القلب في معاني الأشياء؛ لدرك المطلوب، وقيل: هو إحضار ما في القلب من معرفة الأشياء[2]

الصلة بين التدبّر والتفكّر:

إن التدبر: تصرّف القلب بالنظر في العواقب. والتفكر: تصرّف القلب بالنظر في الدلائل. وأن التفكر أظهر في النظر في الآيات الكونية الواقعة والمشاهدة، أما التدبر فهو أظهر في النظر في الآيات القرآنية[3]

ثالثاً: الحكم الشرعي لتدبر القرآن الكريم:

التدبر واجب؛ بالجملة على أهل الإيمان وهم مأمورون به؛ لأنهم أهل الانتفاع وكل بحسب قدراته وطاقاته، والله ﷻ قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ ص: ٢٩

1 مجمل اللغة لابن فارس (1/ 704)
2 التعريفات للجرجاني ص 63
3 الفروق اللغوية للعسكري ص 75

والملاحظ أن كلمة التدبر جاءت في القرآن الكريم في أربع مواضع:

الموضع الأول: في قوله ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص: ٢٩

الموضع الثاني: في قوله ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢

الموضع الثالث: في قوله ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: ٢٤

الموضع الرابع: في قوله ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ ﴿٦٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٨

وهذه الآيات الأربع جاءت في سياق مخاطبة الكافرين والمنافقين وعابت عليهم إعراضهم عن تدبر القرآن والتفكر فيه، فيُفهم من ذلك أن أهل الإيمان من باب أولى مخاطبون بهذه الآيات؛ لأنهم أهل الاتعاظ والاعتبار والعمل.

إجماع المفسرين على وجوب تدبُّر القرآن:

دلَّت هذه الآيات – وما في معناها – على وجوب تدبُّر القرآن العظيم، وقد أجمع على ذلك جمهور المفسّرين، وهذه بعض النُّقول الواردة عنهم في هذا الشَّأن:

قال الطبري: "في حثّ الله ﷻ عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبيّنات، ما يدلُّ على أنَّ عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آيِهِ؛ لأنَّه محال أنْ يقال لمن لا يفهم ما يقال، ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به إلاَّ على معنى الأمر، بأنْ يفهمه ويفقّهه، ثم يتدبَّره ويعتبر به"[1]

1 جامع البيان للطبري (1/ 76)

وقال القرطبي: "ودلَّ قولُه ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ على وجوب التَّدبُّر في القرآن؛ لِيعرف معناه"[1]

وقال ابن عطيَّة في قوله ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ وهذا أمر بالنَّظر والاستدلال"[2]

وقال أبو السُّعود: "إنكارٌ واستقباح؛ لعدم تدبُّرهم القرآن، وإعراضهم عن التَّأمُّل فيما فيه من موجبات الإيمان"[3]

وقال الشَّوكاني: "ودلَّت هذه الآية، وقولُه ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ على وجوب التَّدبُّر للقرآن؛ لِيعرف معناه، والمعنى: أنَّهم لو تدبَّروه حقَّ تدبُّره لوجدوه مؤتلفًا غير مختلف، صحيح المعاني، قويَّ المباني، بالغًا في البلاغة إلى أعلى درجاتها"[4]

وقال السُّيوطي: "وتدبُّر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن، وأيضًا: فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابًا في فنّ من العلم؛ كالطب والحساب، ولا يستشرحونه، فكيف بكلام الله ﷻ الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم"[5]

وقال الزَّركشي: "وبالجملة؛ فالقرآن كلُّه لم ينزله ﷻ إلاَّ ليفهمه، ويعلم ويفهم، ولذلك خاطب به أُولي الألباب الذين يعقلون، والذين يعلمون، والذين يفقهون، والذين يتفكَّرون"[6]

رابعاً: أهمية تدبر القرآن الكريم:

1 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (5/ 290)
2 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (2/ 83)
3 إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (2/ 207)
4 فتح القدير للشوكاني (1/ 567)
5 الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (4/ 202)
6 البرهان في علوم القرآن للزركشي (2/ 145)

أوجب الله ﷻ على عباده المسلمين تدبُّر القرآن الكريم، والتمعُّن في آياته، والاستفادة من العلوم المهمّة؛ لتحقيق الفَهم الصحيح، والنَّظَر الدقيق، والوصول إلى نتائج ودلالات سليمة، وبيّن الله ﷻ أنّ التدبُّر وسيلة لتكوين العقل الواعي، والمنهجيّة العلميّة الصحيحة، والعلم النافع، كما أنّ التدبُّر يسهم في تنشيط العقل، وتمرينه؛ إذ إنّ القرآن لا يقتصر على مجال واحد، بل يشمل مجالات الحياة جميعها، وقد تطرّق **العلّامة ابن القَيّم** إلى أهمّية تدبُّر القرآن؛ فذكر أنّ فيه تخفيفاً على المسلم ممّا يواجهه من مشاقّ الحياة، وإرشاداً إلى طريق الصواب، وإبعاداً عن الضلال، وهدايةً إلى الأمور الحلال، الأمر الذي يسهم في عدم تخطّي حدود الشَّرْع.

وتدبُّر القرآن يُحقّق للمسلم استشعار الخوف من عذاب الله ﷻ، وغضبه، والسَّعي فيما يرضيه، **وذكر السعدي** أنّ من أهمّية تدبُّر القرآن: "تحقيق معرفة العبد بربّه ﷻ، والعلم بصفاته الكاملة، وتنزيهه عن كل نقص لا يليق به، وبذلك يزداد الإيمان، ويرسخ في قلب صاحبه، كما أنّ تدبُّر القرآن مفتاح للعديد من العلوم، والمعارف، فيزداد علم العبد، وتزداد بصيرته، ويعرف بذلك الطُّرق التي تصله بالله ﷻ، بما يُحقّق البعد عن كل أسباب العقاب، ومن أهمّية التدبُّر أيضاً: العلم التامّ بأنّ القرآن الكريم من عند الله ﷻ، وأنّه كامل لا نقص فيه، وبه تتحقّق العبوديّة لله ﷻ، كما أنّ فيه تربيةً للعقل، وحمايةً للمسلم من الشيطان، وتحقيقاً للراحة والطمأنينة، وهدايةً من الله ﷻ، وتوفيقاً.

وتتجلى أهمية هذا الموضوع فيما يأتي:

1. تفعيل منهج التدبر في الفهم والاستقراء والاستنباط والتحليل.
2. تفعيل منهج السياق في الوقوف على مقاصد القرآن وحكمه.

3. الجمع بين التدبر والسياق في الممارسة والنظر والتوجيه.

وتتجلّى أهميّة تدبُّر القرآن الكريم باعتباره سبيل إدراك مقاصد الآيات، وفهم معانيها؛ ليكون المسلم متبصِّراً فيها؛ فيستنير قلبه، وتتوسّع مداركه، وقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم أهميّة قراءة القرآن الكريم، وتدبُّر معانيه، وفهم مقاصده، فلم يكونوا يتجاوزون عشر آيات من القرآن إلّا عملوا بما ورد فيها، ولتحقيق هدف إنزال القرآن الكريم، والوصول إلى ثمرة تلاوة آياته، نهى النبي ﷺ المسلم عن ختم القرآن في أقل من ثلاثة أيّام؛ لأنّ ختمه في مدّة أقل من ثلاث لا يحقّق المقصود من التلاوة المتمثّلة بالتدبُّر والفهم؛ قال ﷺ: "**لم يفقَه من قرأ القرآن في أقلَّ من ثلاث**"[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ ص: ٢٩

وقد حذَّر الله سبحانه وتعالى في كتابه من الأخذ بظاهر الآيات القرآنيّة، أو تعلُّق الأماني والأحلام به؛ فقد وصف الله سبحانه وتعالى حال الأُمم التي تأخذ بظاهر الآيات فقط ولا تمتثل أوامرها بأنّها أُمم أمّية؛ لعدم علمهم، وفهمهم، وتدبُّرهم آيات الله عز وجل؛ ولذلك حذّر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين من اتباع ذلك السبيل، بل أكّد على أهمّية الحرص على خشوع القلب، والتفكُّر حين الاستماع إليها، وتجنُّب قسوة القلب التي تحوُل دون تحقيق منافع التدبُّر؛ من قبول الذكر والمواعظ، والخوف من الوعيد، والإنابة، والرجاء؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ﴾ الحديد: ١٦

1 سنن ابن ماجه (1/ 428) حديث رقم (1347)، سنن الترمذي (5/ 198) حديث رقم (2949)

وتتجلّى أهميّة تدبُّر القرآن الكريم أيضاً باعتباره وسيلة لزيادة إيمان العبد؛ وذلك بمعرفته أسماء الله ﷻ، وصفاته العُليا؛ إذ يُدرك ما يُحبّه الله ﷻ من الأعمال، فيأتيها، وما يكرهه منها، فيتجنَّبها، ويُقصيها، وبالتدبُّر يتعرّف المسلم إلى دعوة الرُّسل والأنبياء عليهم السلام، وما أيّدَهم الله ﷻ به من المعجزات، والآيات، والبراهين الدالّة على صدق نبوّتهم، ورسالتهم، وبالتدبُّر أيضاً يتمكّن المسلم من إدراك مفاتيح تحقيق السعادة في الدُّنيا والآخرة، **وفَسَّر ابن القَيم** قول الله ﷻ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ طه: ١٢٣، بأنّ الاتباع الحقيقي للهدى الذي أنزله الله ﷻ يكون بتلاوة كتاب الله ﷻ تلاوةً مبنيّةً على الفهم، والتدبُّر، والعمل، وليس الاقتصار على تلاوة اللفظ فقط؛ إذ إنّ ترتُّب الأجر يكون بتلاوة اللفظ؛ إلّا أنّها لا تعني حقيقة الاتباع المفضية إلى نيل رضا الله ﷻ، وثنائه على العبد في الدُّنيا والآخرة.

خامساً: أثر تدبر القرآن الكريم:

يجدر بالمسلم إدراك لذّة قراءة كتاب الله ﷻ، وتدبُّر آياته، والتفكُّر في معانيها، والوقوف على دلالاتها، ومراميها؛ ليتمكن بذلك من دحض الشُّبهات، وإبطال الافتراءات، ومواجهة نوازع النَّفس، والشيطان، فيشعر المسلم بعزة القرآن، ويستغني به عن الناس؛ بتحقُّق الكفاية به، ومعاودة القراءة والتلاوة دون ملل؛ لما يحقّقه له التدبُّر من العلم والمعرفة، وبذلك يلزم المسلم الصراط المستقيم، ويتمسّك بحبل الله ﷻ المتين الموصل إلى النجاة والفوز.

سادساً: الحثّ على تدبُّر القرآن الكريم:

كان النبيّ ﷺ يتدبّر آيات كتاب الله ﷻ، ويتفكّر في معانيها، ويدلّ على ذلك ما ورد عن عوف بن مالك الأشجعيّ رضي الله عنه: "**قمتُ مع النَّبِي ﷺ فبدأ فاستاك وتوضَّأَ ثمَّ قام فصلَّى فبدأ فاستفتح من البقرة لا يمرُّ بآية رحمة إلَّا وقف وسأل ولا يمرُّ بآية عذاب إلَّا وقف يتعوَّذ**"[1]، كما حثّ ﷺ على التفكُّر في سور القرآن، ودراسة آياته، وبَيّن فضيلة ذلك العمل، وثمرته عند الله ﷻ؛ قال ﷻ: "**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه**"[2]، وقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم فضيلة تدبُّر القرآن؛ إذ ورد أنّ أحدهم كان يُكرّر الآية الواحدة طوال الليل، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يفضّل قراءة سورتي الزلزلة، والقارعة بتدبُّر وتمعُّن على قراءة سورة البقرة مراراً دون تعقُّل أو تفكُّر.

سابعاً: كيفية تدبُّر القرآن:

ورد مصطلح تدبُّر القرآن في قول الله ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢، والتدبُّر سبيل المسلم للتفكُّر في معاني كتاب الله ﷻ ومدلولاته، والاستجابة لما تتضمّنه الآيات القرآنيّة من معاني الرحمة، والرجاء، وامتثال الأوامر؛ فإن قرأ المسلم آيةً تتضمّن عذاباً، استعاذ بالله ﷻ منه، واجتهد في تنفيذ ما أمر الله ﷻ به، واستغفر لما اقترفه من الذنوب والمعاصي،

1 سنن النسائي (2/ 223) حديث رقم (1132)
2 صحيح مسلم (4/ 2074) حديث رقم (2699)

وإن قرأ آيةً تتضمّن معاني الرحمة الربّانية، دعا ربَّه ﷻ أن يشمله بها، وإن قرأ آيات استجابة الدعاء، اجتهد في مناجاة ربّه ﷻ، وتضرّع إليه؛ راجياً عَفْوه، ومغفرته، وإن قرأ آيات تمجيد الله ﷻ، أو تنزيه، سبَّحه، وعظّمه، ووقَّره.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الانتفاع بالقرآن، وتحقيق الغاية من إنزاله لا تتحقّق بمُجرّد القراءة، وإنّما بإعمال النَّظَر والفكر في آياته، وتدبُّر معانيها، وبذلك يتحصّل المسلم على ثمرة قراءة القرآن؛ فالتدبُّر مما يعين على معرفة طرق الخير والشرّ، وتجلية معالمها، وإدراك أسبابها، وفهم مقاصدها وغاياتها، والنَّظر في مآلات سالكيها كما بَيّن ذلك ابن القَيّم الجوزيّة، والتدبُّر فعل سام لا يتعلّق بمجرّد النَّظَر لتحصيل المعارف والعلوم، وإنّما هو تفكُّر شامل، ونظر ثاقب في الآيات؛ للتوصُّل إلى مراميها ومقاصدها الحقيقيّة؛ الأمر الذي يجعل المسلم قادراً على العمل بما علمه.

ثامناً: آثار تدبر القرآن الكريم:

1. آثار قلبية لتدبر القرآن الكريم:

إن للتدبر آثاراً كبيرة على الإنسان المسلم، وهو من أهم الوسائل للارتقاء بالفرد روحيًّا وسلوكيًّا، ونفسيًّا، وخلقيًّا؛ وتدبر كلام الله ﷻ من أهم الركائز وأسبق الوسائل في صياغة الشخصية المسلمة المستقيمة؛ إذ إنَّ المتدبر يعتبر بالقصص القرآني، ويوقن بالخبر الغيبي، وينصاع لحكم الله ﷻ ويعمل به في حياته وواقعه، وهذه المعاني لا تحصل لمن لا يتدبر القرآن الكريم.

وسنذكر جملة من تلك الآثار على قلب المتدبر:

1. التأثر والبكاء من خشية الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟

سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾ مريم: ٥٨، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنفال: ٢، أي: خافت وحذرت مخالفته، فوصفهم بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم ﷻ وكأنهم بين يديه[1]

وفي قوله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزمر: ٢٣، ففي الآية بيان لما يحصل عند سماع القرآن الكريم من التأثر لسامعيه، والاقشعرار: التقبض، يقال اقشعر جلده: إذا تقبض وتجمع من الخوف، والمعنى: أنها تأخذهم منه قشعريرة[2]

قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: "كان أصحاب الرسول ﷺ تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم عند سماع القرآن"[3]، وكل ذلك أثر من آثار تدبر القرآن الكريم.

1 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (12/ 59)
2 فتح القدير للشوكاني (4/ 527)
3 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (4/ 528)

2. حضور القلب والعقل والوقوف عند المعاني، قال ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ الفرقان: ٧٣، وقوله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزمر: ٢٣

3. الفرح والاستبشار عند آيات الوعد والنعيم والرضوان، رجاءً لما عند الله ﷻ؛ لقوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ التوبة: ١٢٤

4. الخوف والمهابة عند آيات الوعيد والعذاب المهين والخسران؛ لأن المؤمن الصادق يعيش دائماً بين الخوف والرجاء، فلا ييأس من الرحمة وإن قصّر، ولا يغتر بعمله وإن أحسن؛ قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٥٧ - ٦٠

5. زيادة الإيمان والطمأنينة، قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنفال: ٢، وصف الله ﷻ المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوة إيمانهم.

قال ابن كثير: "وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ

عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾، وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة"[1]

2. آثار عملية لتدبر القرآن:

المؤمن لا يقف عند مجرد السماع والتأثر، بل يتعدى ذلك إلى العمل والاستجابة لله ﷻ ورسوله ﷺ، وهذا أصل عظيم من أصول التدبر، ومن تلك الآثار العملية نذكر ما يلي:

1. السجود والخضوع والذلة، تعظيماً لله ﷻ وإجلالاً لشأنه ﷻ، لقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٧

2. العمل به؛ قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ القصص: ٥٣، وقد كان السلف الصالح ﷺ مضرب المثل في العمل بالقرآن والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، فقد كان الصحابة ﷺ يقتدون بالنبي ﷺ، فعن سعد بن هشام بن عامر ﷺ قال: "**سألت عائشة أمَّ المؤمنين رضي الله عنها فقلت: يا أمَّ المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله كان القرآن**"[2]

هذا الحديث دليل على منهج النبي ﷺ في التعامل مع القرآن، وهو التخلق بأخلاقه والعمل بأوامره، وعن ابن مسعود ﷺ قال: "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن"[3]، وهذا يدلّ على منهج النبي ﷺ

1 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/ 10)
2 صحيح مسلم (1/ 512)
3 جامع البيان للطبري (1/ 74)

والصحابة ﷺ في تعلم القرآن وتدبره، أنهم كانوا يجمعون بين العلم وحسن الفهم له وحسن العمل به.

3. آثار تدبر القرآن في بناء الإيمان:

ويتجلّى ذلك في تدبر الآيات الواردة في بيان العقيدة والإيمان، بحيث يتبيّن أنها قائمة على بيان ما يلي:

1. بناء المعرفة والهداية: وذلك عن طريق النظر في الآيات المتلوة والآيات المشاهدة في الكون، التي تدل على وحدانية الله ﷻ وتفرده بالعبادة، **قال ابن القيم**: "بيان بالآيات المسموعة المتلوة، وبيان بالآيات المشهودة المرئية، وكلاهما أدلة وآيات على توحيد الله ﷻ وأسمائه وصفاته وكماله، وصدق ما أخبرت به رسله عنه، ولهذا يدعو عباده بآياته المتلوة إلى التفكر في آياته المشهودة ويحضُّهم على التفكير في هذه وهذه، وهذا البيان هو الذي بُعثت به الرسل وجعل إليهم وإلى العلماء بعدهم، وبعد ذلك يُضِلُّ الله ﷻ من يشاء، قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ إبراهيم: ٤، فالرسل تُبيّن، والله ﷻ يضل من يشاء ويهدي من يشاء بعزته وحكمته"[1]

2. توجيه الإنسان إلى التفكر بعجائب مخلوقات الله ﷻ، الواقعة تحت إدراك الحسّ، بادئاً بأبسطها وأقربها إلى بيئة الإنسان ومحيطه، قال ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩

1 مدارج السالكين لابن القيم (1/ 66)

﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ الغاشية: ١٧ - ٢١

3. إمعان النظر وترديد الفكر مع وضوح الدلالة، كالنظر في الآيات ومعانيها القاطعة على استحقاق الله ﷻ للعبادة ودون من سواه.

4. بيان ما يتعلق بمنهج التعامل مع الغيب وحقيقة البعث، وكل ما يتعلق بقضايا الإيمان إلا وقد بينها القرآن أوضح بيان وبأصدق برهان، وبيقين قطعي الدلالة؛ بحيث لا تدع أي مجال للشك والتردد في نفس المؤمن.

4. آثار تدبر القرآن الكريم في بناء شخصية المسلم:

1. زيادة الإيمان: فتدبر القرآن من أهم وسائل زيادة الإيمان، وذلك من خلال مواعظه البليغة التي تستثير المشاعر و تؤججها، فيحدث بذلك التجاوب بين الفكر والعاطفة، قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنفال: ٢، ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقاً إلى كرامة ربهم ﷻ، أو وجلاً من العقوبات، وازدجاراً عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان"[1]

2. إيجاد الشخصية المسلمة المتوازنة: إن شخصية المسلم الذي يلازم تلاوة القرآن وتدبره، تتشكل بصورة متوازنة بلا إفراط ولا تفريط، وذلك بالفهم الصحيح للقرآن كما فهمه جيل الصحابة ﷺ، استقامة على الوسطية والاعتدال.

1 تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 315

3. صَقْلُ المواهب وتنمية القدرات العقلية: إن مداومة التدبر للقرآن، يورث لدى صاحبه ملكة التفكير وقوة الملاحظة، وترتفع قدرته على معالجة الأمور، ويصبح عاقلاً في الحكم عند اختلاف الآراء والأفكار، قال ﷻ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ الزمر: ٩، ولهذا كان الصحابة ﷺ يستمدون من القرآن ما قد يخفى عليهم علمه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله ﷻ"[1]، فهذا يدل على أن تدبرهم للقرآن صَقلَ مواهبهم ونمّى قدراتهم العقلية.

تاسعاً: مقاصد تدبر القرآن الكريم:

إنّ التدبّر في القرآن هو الغاية الأسمى من نزوله، حيث قال ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص: ٢٩

وهذا ما دعا العلماء إلى البحث في موضوع التدبر، ومعرفة مقاصد وأهداف التدبر، ولمعرفة مقاصد وأهداف التدبّر نعرضها فيما يلي:

أولًا: زيادة الإيمان:

إنّ أهم مقصد من مقاصد التدبر في القرآن الكريم، هو أنه عندما يتلى القرآن الكريم بتدبّر، يشعر القارئ بزيادة الإيمان في قلبه، بل إن مقياس التدبر يعرف بزيادة الإيمان، فإذا كان المسلم يشعر بزيادة في إيمانه فإنه يتدبّر القرآن، حيث يقول ربنا ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنفال: ٢، يقول السعدي في تفسير هذه

1 بيان المعاني للعاني (3/ 340)

الآية: "ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التدبر من أعمال القلوب؛ ولأنه لابد أن يبيّن لهم معنًى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقًا إلى كرامة ربهم، أو وجلًا من العقوبات، وازدجارًا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان"[1]

والمراد بـ (زيادة الإيمان): هي زيادة انشراح الصدر، وطمأنينة القلب، وانثلاج الخاطر عند تلاوة الآيات[2]، وقوة اليقين في نفس الموقن، فتلك القوة هي المعبّر عنها بالزيادة، وتفاوتها تدرج في الزيادة، ويجوز أن تسمى: قلة التدرج في الأدلة نقصًا، لكنه نقص عن الزيادة، وذلك مع مراعاة وجود أصل حقيقة الإيمان؛ لأنها لو نقصت عن اليقين لبطلت ماهية الإيمان، وقد أشار البخاري رحمه الله إلى هذا بقوله: (باب زيادة الإيمان ونقصانه)[3]، فإذا ترك شيئًا من الكمال فهو ناقص، وهذا هو المراد من وصف الإيمان بالزيادة[4]

وجاء التعبير بصيغة الفعل المبنى للمفعول في قوله: ﴿ ذُكِرَ ٱللَّهُ ﴾، ﴿ تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾؛ للإيذان بأن هؤلاء المؤمنين الصادقين إذا كانوا يخافون، ويزداد إيمانهم عندما يسمعون من غيرهم آيات الله ﷻ، فإنهم يكونون أشد خوفًا، وأكثر زيادةً للإيمان عند ذكرهم لله ﷻ، وعند تلاوتهم لآياته بألسنتهم وقلوبهم. فالمقصود من هذه الصيغة: مدحهم، والثناء عليهم، وبيان الأثر الطيب الذي يترتب على ذكر الله ﷻ، وعلى تدبر آياته[5]

1 تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 315
2 فتح القدير للشوكاني (2/ 326)
3 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه (1/ 17)
4 التحرير والتنوير لابن عاشور (9/ 257 – 258)
5 التفسير الوسيط لطنطاوي (6/ 30)

والقلب المؤمن يجد في آيات القرآن ما يزيده إيمانًا، وما ينتهي به إلى الاطمئنان، فالقرآن يتعامل مع القلب البشري بلا وساطة، ولا يحول بينهما شيء إلا الكفر الذي يحجبه عن القلب، ويحجب القلب عنه، فإذا رفع هذا الحجاب بالإيمان وجد القلب حلاوة هذا القرآن، ووجد في آياته المتكررة زيادة في الإيمان تبلغ إلى الاطمئنان ، وكان المؤمنون إذا أنزلت سورة من القرآن ازدادوا إيمانًا وتصديقًا وإقرارًا؛ حيث يقول ربنا ﷻ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ التوبة: ١٢٤، وذلك لا يكون إلا بعد التدبر في هذه السورة، ولعل المسلمين كانوا إذا سمعوا القرآن قالوا: قد ازددنا إيمانًا، كقول معاذ بن جبل للأسود بن هلال رضي الله عنهما: "اجلس بنا نؤمن ساعة"[2]، يعني: بمذاكرة القرآن والتدبر في آياته[3]، فالإيمان إذًا مقصد من مقاصد المتدبر للقرآن، فعندما تفهم ما تقرأ وتستشعر عظمة الخطاب الموجّه إليك، فإن ذلك يزيد من إيمانك بربك ﷻ، ويجعلك مستبشرًا بعظيم فضله ومنته، بعكس المنافق المعرض صاحب القلب المريض؛ إذ لا تزيده السورة إلا شكًّا وإعراضًا.

ثانيًا: العمل الصالح:

إنّ المقصد الثاني من مقاصد تدبر القرآن، هو العمل الصالح، والامتثال لأمر الله ﷻ ونهيه، وهو ثمرة الإيمان وعاقبة التدبر؛ لذلك حتى يتحقق التدبر في القرآن، يجب أن يكون بنية العمل والامتثال بما فيه، ولو أننا تلونا القرآن، ولم نعمل بما فيه لا يمكن أن نكون قد تدبرناه، ولو تدبرناه لكان القرآن واقعًا عمليًّا في حياتنا

2 صحيح البخاري (1/ 10)
3 التحرير والتنوير لابن عاشور (11/ 65)

وسلوكنا، وهذا ما أكّدته عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت: "فإنّ خلق نبيّ الله ﷺ كان القرآن"[1]، ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله ﷻ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فأرعها سمعك، فإنّه خيرٌ يؤمر به، أو شرٌّ ينهى عنه"[2]، وذلك استعدادًا لتنفيذ الأوامر.

إن التدبر في القرآن هو الطريق للعمل بما جاء فيه؛ وذلك لأن العمل بالقرآن يتوقف على فهمه، وفهم القرآن لا يمكن إلا بالتدبر في آياته، ولقد حثّنا القرآن على العمل والامتثال لما جاء فيه، فقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١ ﴾ البقرة: ١٢١

يقول أبو السعود: "﴿ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبّر في معانيه والعمل بما فيه"[3]؛ لأنهم إن تدبروه تدبرًا صادقًا، علموا أنه حق، وأن اتباعه واجب، وتصديق من جاء به لازم[4]، بل إن الفائدة المنشودة من تلاوة القرآن بتدبر هي العمل به، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**والقرآن حجّةٌ لك، أو عليك**"[5]، وهذا الذي كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، **قال الحسن البصري**: "إن من قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبّرونها بالليل وينفّذونها بالنهار"[6]، ومن يتلو القرآن، وهو معرض عن آياته والعمل به، يكون كالمستهزئ بربه ﷻ، أما الأميّ فعليه سؤال العلماء؛ لشرح معنى القرآن، وإفهامه

1 صحيح مسلم (1/ 512)
2 حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني (1/ 130)
3 إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (1/ 153)
4 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (5/ 339)
5 صحيح مسلم (1/ 203) حديث رقم (223)
6 التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص 54

مراده: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ النحل: ٤٣"[1]

وهناك ارتباط وثيق في عقيدة أهل السنة والجماعة بين الإيمان والعمل الصالح؛ فالإيمان شرطه العمل الصالح، وإلا كان قولًا لا دليل عليه، والعمل الصالح شرطه الإيمان؛ لكي يكون مقبولًا عند الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ ﴾ النساء: ١٢٤، وقال في شأن الذين يقدّمون أعمالًا خيّرة، ولكنهم كفار: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان: ٢٣

والتدبر في القرآن الكريم يجعل الفرد المؤمن الصالح إيجابيًّا ونافعًا، ويعيش حياة آمنة مطمئنة، وصفها القرآن بالحياة الطيبة، وجعلها لمن عمل صالحًا، قال ﷻ: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل: ٩٧

وبهذا الترابط الوثيق بين الإيمان والعمل الصالح يقدّم الإسلام نموذجًا رائعًا وفريدًا بالتطابق بين النظرية والتطبيق، فليس الإيمان مجرد شعارات وأقوال، بل هو تصديق قلبي ينعكس على عمل المؤمن، وعلاقته بمن حوله، فالإيمان الصحيح يزداد، ويقوى، وينمي، ويترتب عليه آثاره من الأعمال الصالحة، وترك المعاصي والفساد بقدر تدبر القرآن، وينقص ويضعف على هذه النسبة من ترك تدبره.

1 التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (1/ 297 – 298)

وليس العمل لمجرد النفع الدنيوي البعيد عن الأخلاق، بل هو مرتبط بحياة أخرويّة، هي بالتأكيد الأفضل والأعلى ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ الضحى: ٤

ولقد حفّزنا القرآن الكريم بأساليب مختلفة على العمل والامتثال، منها: أسلوب الأمر والنهي، وأسلوب الجزاء والعقاب، وأسلوب الوعد والوعيد، وأسلوب الترغيب والترهيب، وهذه الأساليب وغيرها دالة على أن القرآن أنزل للعمل والامتثال.

قال الحسن البصري: "وما يتدبّر آياته إلّا اتّباعه بعلمه، والله ﷻ يعلمه، أما والله ما هو بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده، حتّى أنّ أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كلّه فما أسقط منه حرفًا، وقد أسقطه والله كلّه ما بدا له القرآن في خلق ولا عمل"[1]

ثالثًا: الهداية إلى الحق والصواب:

قد علم أن المقصد الأول من مقاصد التدبر هو: زيادة الإيمان، وأن المقصد الثاني هو: العمل الصالح، وهو ثمرة ونتيجة الإيمان، وأنهما متلازمان، فلا إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان. فالأول مبتور لم يبلغ تمامه، والثاني مقطوع لا ركيزة له، وبهما معاً يتحقق المقصد الثالث من مقاصد التدبر وهو: الهداية إلى الحق والصواب.

يقول ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ الإسراء: ٩ - ١٠، فالإيمان والعمل هما القاعدتان الأصيلتان التي تبنى عليهما الهداية، فأما الذي لا يهتدي بهدي القرآن، فهو لا يتدبّره، بل هو متروك لهواه، والإنسان العجول الجاهل بما ينفعه وما يضره، المندفع الذي لا يضبط انفعالاته، ولو

1 فضائل القرآن، للفريابي ص 246

كان من ورائها الشر له، ذلك أنه لا يعرف مصائر الأمور وعواقبها، ولقد يفعل الفعل وهو شر، ويعجل به على نفسه، وهو لا يدري، أو يدري ولكنه لا يقدر على كبح جماحه، وضبط زمامه، فأين هذا من هداية القرآن له إلى الخير والصواب؟

يقول ﷻ في حقه: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾ الإسراء: ١١، وإنّه مما يؤكّد على أنّ الهداية مترتبة على العمل والاتّباع: قوله ﷻ: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ المائدة: ١٦، فمن الذي يهتدي بالقرآن؟ إنّه الذي يتّبع ما يرضي الله ﷻ.

"وهذه الهداية حسب الآية لها ثلاث فوائد:

1. إن المتبع لما يرضي الله ﷻ يهديه إلى الطريق المؤدي إلى النجاة والسلامة من الشقاء والعذاب في الدنيا والآخرة باتباع الإسلام؛ لأنه دين الحق والعدل والإخلاص والمساواة.

2. إنه يخرج المؤمنين به من ظلمات الكفر والشرك والوثنية والوهم والخرافة إلى نور التوحيد الخالص.

3. إنه يهدي إلى الطريق الموصل إلى الهدف الصحيح من الدين، وإلى خيري الدنيا والآخرة"[1]

ويقول ﷻ في آية أخرى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ طه: ١٢٣ أي: أن الإنسان إذا اتبع الهدى الوارد من الله ﷻ على

1 التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (6/ 134)

لسان رسله سلم من أن يعتريه شيء من ضلال في الدنيا، بخلاف من اتبع ما فيه هدى وارد من غير الله ﷻ، فإنه وإن استفاد منه في بعض الأحوال لا يسلم من الوقوع في الضلال في أحوال أخرى، وهو أيضًا لا يشقى في الآخرة؛ لأنه إذا سلم من الضلال في الدنيا سلم من الشقاء في الآخرة"[1]

إنّ هنالك خيارات صعبة وعديدة تطرح أمام الفرد، وأمام الأمة كل يوم، ولاختيار الطريق السليم بين هذه الخيارات، ونهتدي إلى الصواب لابد من الرجوع إلى القرآن، والتدبر في آياته، ومن هنا يقول ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ الإسراء: ٩، فيشمل الهدى أقوامًا وأجيالًا بلا حدود من زمان أو مكان، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان، فإن التدبر في القرآن الكريم للحظات قليلة فقط، كان منعطفًا تغييريًّا كبيرًا، في حياة الكثير من العصاة.

رابعًا: تحصيل العلم النافع:

إنّ المقصد الرابع من مقاصد تدبر القرآن الكريم هو: تحصيل العلم النافع، وهو أمر مهم لتحقيق المقاصد الثلاثة السابقة؛ ليكون الإيمان والعمل والهداية عن علم واتباع لما جاء به الشرع، ولقد حثّ القرآن الكريم على طلب العلم وتحصيله في أكثر من موضع، فقال ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ التوبة: ١٢٢

1 التحرير والتنوير لابن عاشور (16/ 330)

قال الشوكاني: "في هذه الآية مشروعية الخروج لطلب العلم، والتفقّه في الدين، جعله الله ﷻ متصلًا بما دل على إيجاب الخروج إلى الجهاد، فيكون السفر نوعين، الأول: سفر الجهاد، والثاني: السفر لطلب العلم. ولا شك أن وجوب الخروج لطلب العلم إنما يكون إذا لم يجد الطالب من يتعلم منه في الحضر من غير سفر"[1]

وفي السياق ذاته، قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ النحل: ٤٣، فسؤال أهل الذكر والعلم، هو شكل من أشكال طلب العلم.

وطلب العلم فضيلة عظيمة، ومرتبة شريفة لا يوازيها عمل؛ فعن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: "من يرد الله به خيرًا يفقّهه في الدّين"[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: "ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهّل الله له به طريقًا إلى الجنّة، وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلاّ نزلت عليهم السّكينة، وغشيتهم الرّحمة وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"[3]

كما مدح الله ﷻ العلماء في مواضع كثيرة في كتابه العزيز، حيث قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ فاطر: ٢٨، وقال أيضًا: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾

1 فتح القدير للشوكاني (2/ 474)
2 سنن الترمذي (5/ 28) حديث رقم (2645)
3 صحيح مسلم (4/ 2074) حديث رقم (2699)

المجادلة: ١١، وذمّ ﷻ الجهل والجاهلين فقال: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٩٩

وبعد معرفة أهمية طلب العلم، فيجب معرفة أن المنبع الأصيل والمصدر العظيم لطالب العلم هو القرآن الكريم، فهو زاخر بالعلوم النافعة للإنسان في حياته الدنيا وآخرته، ولا يستطيع المسلم أن يحصل عليها إلا من خلال الغوص في هذا البحر المتدفق، والتدبر في آياته؛ لاستخراج الدرر المكنونة فيه؛ حيث يقول ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النحل: ٨٩، أي: في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين، وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبيّن فيه أتم تبيين بألفاظ واضحة ومعان جلية، حتى إنه ﷻ يثنّي فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبديها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة؛ لتستقر في القلوب فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتى إنه ﷻ يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، فلما كان هذا القرآن تبيانًا لكل شيء صار حجة الله ﷻ على العباد، وانتفع به المسلمون فصار هدى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة. فالهدى ما نالوه به من علم نافع وعمل صالح"[1]

ومن جملة ما أجمله في الكتاب العزيز قوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ

1 تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 446

عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ الحشر: ٧، فأمر في هذه الآية باتباع ما سنه رسول الله ﷺ، فكل حكم سنه الرسول ﷺ لأمته قد ذكره الله ﷻ في كتابه العزيز، بهذه الآية، وبنحو قوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١، وبقوله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١، وقال ﷻ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ النساء: ١١٥، فكانت السنة والإجماع والقياس مستندة إلى تبيان الكتاب، فمن ثمّ كان تبيانًا لكل شيء[1]، وفي نفس المعنى قال ﷻ: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنعام: ٣٨، أي: ما تركنا في القرآن من شيء من أمر الدين؛ إما تفصيلًا أو إجمالًا"[2]

ومن جهة أخرى، فيخشى أن تكون حال من يقرأ ويحفظ دون تدبر كحال من سبقنا من الأمم التي عاب الله ﷻ عليها مثل ذلك، كما في قوله ﷻ: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ البقرة: ٧٨.

قال ابن عاشور: "الأماني القراءة؛ أي: لا يعلمون الكتاب إلا كلمات يحفظونها ويدرسونها لا يفقهون منها معنًى، كما هو عادة الأمم الضالة؛ إذ تقتصر من الكتب على السرد دون فهم"[3]

1 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (2/ 628)
2 فتح القدير للشوكاني (3/ 130)
3 التحرير والتنوير لابن عاشور (1/ 575)

قال ابن تيمية: "والإنسان يقرأ السورة مرات حتى سورة الفاتحة، ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل ذلك حتى كأنها تلك الساعة نزلت، فيؤمن بتلك المعاني، ويزداد علمه وعمله، وهذا موجود في كل من قرأ القرآن بتدبر، بخلاف من قرأه مع الغفلة عنه"[1]

خامسًا: الجهاد بالقرآن:

مقاصد التدبّر السابقة نفعها ذاتي يعود على المسلم وحده فقط؛ لذلك كان لابد من تسخير هذه المقاصد لأمر يتعدّى فيه النفع إلى الآخرين، وهذا هو المقصد الخامس من مقاصد التدبر؛ وهو: الجهاد بالقرآن، فلا يمكن تحقيق هذا المقصد من دون تحقيق المقاصد السابقة فهي مترتبة بعضها على بعض.

وقد دعانا القرآن لهذا النوع من الجهاد، فقال ﷻ: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ الفرقان: ٥٢، وجاء هذا الأمر بعد أن حذّر الله ﷻ رسوله ﷺ من الوهن في الدعوة، أمره بالحرص عليها والمبالغة فيها، وعبّر عن ذلك بالجهاد، وهو الاسم الجامع لمنتهى الطاقة، وصيغة المفاعلة فيه ليفيد مقابلة مجهودهم بمجهوده فلا يهن ولا يضعف؛ ولذلك وصف بالجهاد الكبير؛ أي: الجامع لكل مجاهدة.

وضمير ﴿ بِهِۦ ﴾ عائد إلى القرآن؛ أي: جادلهم بالحجج القرآنية والبراهين الربانية أعظم الجهاد وأكبره ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا

1 مجموع الفتاوي لابن تيمية (7/ 236 – 237)

كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ الأنفال: ٤٢، وليس ذلك من العدوان، وإنما هو من الدعوة إلى الله ﷻ لصالح المخالف؛ ليرجع إلى الحق"[1]

فهذا الدين قام على الدعوة والجهاد، كما قال ﷻ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٤، فلا يجوز للمسلمين ترك البشرية تعيش في ضلالها، وعند المسلمين الهدى والنور، قال ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ آل عمران: ١١٠، فهذه الأمة مكلّفة بدعوة غيرها من الأمم؛ لإخراجها من الظلمات إلى النور، قال ﷻ: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ إبراهيم: ١، وجعل التواصي بالحق والصبر من صفات الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فقال ﷻ: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ العصر: ١ - ٣، والجهاد بالقرآن والحجة والبرهان أفضل أنواع الجهاد؛ لأنه جهاد خواص الأمة، وأتباع الرسل عليهم السلام، وورثة الأنبياء عليهم السلام، وهو أصعبها؛ لأنه جهاد

1 التحرير والتنوير لابن عاشور (19/ 53)

للمنافقين والمرجفين والذين في قلوبهم مرض من أبناء جلدتنا، وللمستشرقين والمغرضين من الكفار[1].

فالدعوة والأمر والنهي والتواصي نوع من الجهاد؛ ولذلك ساغ لنا أن نتعرّف على كثير من جوانب وصفات الدعوة والداعية قياسًا على أحكام جهاد القتال، بل لذلك أيضًا وجب على الداعية -إن حجب عن خوض القتال لأسباب مختلفة- أن يفهم آيات الجهاد وأحاديثها على أنها خطاب له هو أيضًا، وهو في أمره ونهيه، ولذلك أيضًا يحق للمجاهد بالقرآن أن يمنّي نفسه بثواب المقاتلين -إن شاء الله-.

وهذا **ما قرّره ابن تيمية** في تفسير قوله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥ ﴾ الأنفال: ٧٥، فقال: "قالت طائفة من السلف: هذا يدخل فيه من آمن وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة، وهكذا قوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ١١٠ ﴾ النحل: ١١٠، يدخل في معناها كل من فتنه الشيطان عن دينه أو أوقعه في معصية، ثم هجر السيئات وجاهد نفسه وغيرها من العدو، وجاهد المنافقين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك، وصبر على ما أصابه من قول أو فعل"[2]

إن ميادين المقارعة بالحجة في كثير من الأوقات أشد على النفس من ميادين المقارعة بالقوة، وتطويع العقول أصعب بكثير من تطويع الأبدان.

1 موسوعة فقه القلوب لمحمد التويجري (3/ 2507)
2 مجموع الفتاوي لابن تيمية (18/ 284)

وإنّ حياة النبي ﷺ كلها كانت جهادًا بالقرآن، وموحيات الآيات، وما في طياتها من صور الألم والمعاناة التي لحقت بنفس النبي ﷺ خلال جهاده بالقرآن يعجز القلم عن بيانها، ويصوّر لنا القرآن ذلك، فيقول ﷻ: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنعام: ٣٥

ومن أمثلة الجهاد بالقرآن عند النبي ﷺ: صعوده ﷺ جبل الصفا، ومناداته بطون قريش بطنًا بطنًا، فعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: "لما نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ الشعراء: ٢١٤، صعد النبي ﷺ على الصّفا، فجعل ينادي: (يا بني فهر، يا بني عديّ) -لبطون قريش- حتّى اجتمعوا فجعل الرّجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا؛ لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: "أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدّقيّ؟" قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك إلّا صدقًا، قال: "فإنّي نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ ﴾ المسد: ١ - ٢"[1]

ومن أمثلة الجهاد بالقرآن عند الصحابة رضي الله عنهم: قصة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه مع النجاشي ملك الحبشة، عندما قرأ عليه صدر سورة مريم، ثمّ قال النّجاشيّ: إنّ هذا والّذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة"[2]

1 صحيح البخاري (6/ 111) حديث رقم (4770)
2 مسند أحمد (3/ 263) حديث رقم (1740)

ومن ميادين الجهاد بالقرآن مناصحة ولاة الأمر بالتي هي أحسن، ولا يخاف في ذلك لومة لائم، فعن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"**أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، أو أمير جائر**"[1]

ومن أشكال الجهاد بالقرآن الكريم:

1. الدعوة إلى الإيمان به كلّه، والعمل بمحكمه، وردّ متشابهه إلى المتكلم به ﷻ، وألا نكون كمن قال ﷻ فيه: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ البقرة: ٨٥

2. الدعوة إلى الاحتكام إليه فيما شجر بين المسلمين من خلافات في كل مجال، والرجوع إليه عند النوازل؛ التماسًا للخروج من الأزمات، وحل المشكلات، والارتقاء بواقع المسلمين. قال ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥

3. تبيين أن القرآن هو المرجع الأوّل للتوحيد والعقيدة والمنهج والتشريع، وأن ما خالف القرآن من عقائد ومناهج وقوانين جاهلية هي باطلة مردودة، قال ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ

1 سنن أبو داود (4/ 124) حديث رقم (4344)

يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ ﴾ النساء: ٦٠

4. تأكيد عقيدة الولاء والبراء على القرآن ومن القرآن، فكل من آمن بهذا الكتاب وعظّمه تجب محبته ونصرته وموالاته، وأما من سواه فكيف يحب المؤمن بالقرآن من يكفر بالقرآن أو من ينتقص القرآن ويزدريه بمقاله أو بلسان حاله من أهل الأهواء، قال ﷻ: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ آل عمران: ٣١ - ٣٢

سادساً: إظهار ما في القرآن من بركات والاستفادة منها:

لا شك أن القرآن تكمن بركته في أمور كثيرة منها: كثرة أوامره ونواهيه، وتنوع مواعظه وزواجره، والاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، وتعقل أمثاله وما اشتمل عليه من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، من أجل أن يرعوى العبد فيستدرك ما وقع له من تقصير، ويزداد من الإقبال والتشمير في طاعة الله ﷻ لتحصل له السعادة في الدارين.

قال السيوطي: "وتسنّ القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب"[1]

فالقرآن بحر زاخر من الخيرات، وهبة من الرحمن للعالمين، فهو يعطيك معان غير معدودة في كلمات محدودة، وهذا البحر الزاخر المملوء بالمعاني غير المحدودة لا ولن نستطيع أن نخرج دره إلا بالتدبر.

1 الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (1/ 368)

سابعاً: بيان عالمية المنهج القرآني وواقعية:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ الفرقان: ١

قال ابن كثير: "إنما خصَّه به-أي بالقرآن- ليَخُصَّه بالرسالة إلى من يستظل بالخضراء، ويستقل على الغبراء، كما قال ﷺ: "**بعثت إلى كل أحمر وأسود**[1]"[2]، فرسالة القرآن عالمية، ومنذ نزل القرآن على النبي ﷺ في أول آية منه نزل عالمياً، وأصبح بلوغ القرآن لمجموع الخلق أو آحادهم حجة عليهم وداعيا لهم ومبشراً ونذيرًا وهذه العالمية لا يكون لها التأثير الممتد امتداد الزمان إلا لما يتضمن من المعاني الواقعية، التي تصوّر الحياة في أعدل أحوالها، وتعالج النفس البشرية على اختلاف طبائعها وأصنافها بعيداً عن نظريات يتشدق الناس بها ولا يحققونها، ويتصورونها ولا يتعاملون بها، فلا يشعر معها المتلقي بمثاليات أو تصورات ذهنية لا حقيقة لها على الواقع ولا إدراك لها في الحقيقة، ولا تزال تتكشف له من المعاني ما تطمئن إليه النفس ولا ذلك إلا عن طريق التدبر.

ثامناً: إحياء الفهم السليم للقرآن:

يقصد بإحياء الفهم السليم للقرآن؛ إحياء منهج السلف الصالح رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان في تلقي الإسلام وفهمه وتطبيقه والعناية بتوثيق المنقول عنهم في هذا الباب، من أهم مجالات تطبيق العلوم الإسلامية، هذه نقطة مهمة، بل هي قاعدة عظيمة يجب استصحابها دائما في تدبر معاني القرآن، حتى تفضي بنا إلى أفكار جديدة نبسط بها ميادين المعرفة بسطًا في فهم كلام الله سبحانه وتعالى.

1 صحيح مسلم (1/ 370) حديث رقم (521)
2 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 84)

تاسعاً: تفويت الفرصة على من يريد تحريف كلام الله ﷻ أو تأويله:

إن تدبر كلام الله ﷻ والعيش معه والنظر في المعاني المتجددة التي تجود بها الآيات القرآنية فيما يصلح حياة الناس ضمن القواعد و الضوابط الشرعية التي يفهم بها كلام الله ﷻ، يقطع الطريق أمام كل من يريد ان يحمّل النصوص ما لا تحتمل بحجة التجديد، وهم بذلك يستخدمون مصطلحاً شرعيّاً لترويج منهج فاسد، ولذلك ظهرت باسم "تجديد الخطاب الديني" مناهج محدثة وأفكار حداثية تدعو إلى إعادة قراءة النص، أو القراءة المعاصرة للنصوص دون مرجعية علمية، بل ولا نزعة إيمانية دينية، فإحياء التدبر بين الناس بنقائه وصفائه، على منهج أصيل يقف بإذن الله ﷻ أمام من يريد تمييع ثوابت الدين تحت هذا المسمى.

عاشراً: الأسباب المعينة على تدبر القرآن الكريم:

تركّز هذه النقاط على الأسباب التي تعين وتساعد العبد على التدبر، وأيّة عبادة من العبادات لا شك أن لها عوامل وأسباب مساعدة على أدائها، وهذه الأسباب والعوامل تجعل عبادة التدبر في القرآن أيسر وأسهل على المسلم، بل إن الأسباب المعينة تجعل أداء عبادة التدبر تكون على أكمل وجه، وأحسن حال، وهذه الأسباب هي كالآتي:

1. الاستعاذة:

إن أوّل سبب من الأسباب التي تعين على التدبر والتخشّع بالقرآن، هو بدء القراءة بالاستعاذة بالله من الشّيطان الرجيم، فإنّها مطردة ومبعدة له، وما أكثر ما يزعج الشيطان إلا قراءة القرآن بتدبر، فوجب العمل على إبعاده، ولا يكون ذلك إلا

بطلب الالتجاء والاحتماء بالله ﷻ؛ كي لا يكون عدو الإنسان اللدود حائلًا بين المسلم وبين تدبره، وقد أمر الله ﷻ المسلمين بالاستعاذة من الشيطان في أي وقت يشعر المسلم بمحاولة إفساد الشيطان عليه، أي: أمر من أمور الخير، فقال ﷻ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ ﴾ الأعراف: ٢٠٠ - ٢٠١، أي: إما يصيبنك ويعرض لك وسوسة من الشيطان، فاطلب النجاة من الله ﷻ[1]؛ لأنّ الله ﷻ الذي تستعيذ به من نزغ الشيطان سميع لاستعاذتك به من نزغه، ولغير ذلك من كلام خلقه، لا يخفى عليه منه شيء، عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان، وغير ذلك من أمور خلقه[2]، إن الذين اتقوا الله ﷻ فخافوا عقابه إذا أصابهم عارض من وسوسة الشيطان تذكّروا ما أوجب الله ﷻ عليهم من طاعته، والتوبة إليه، فإذا هم منتهون عن معصية الله ﷻ على بصيرة[3]

وإن أكثر ما يعمل الشيطان على إفساده، هو التدبر في قراءة القرآن؛ لذلك أمرنا الله ﷻ بالاستعاذة عند قراءة القرآن، فقال ﷻ: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠ ﴾ النحل: ٩٨ - ١٠٠، حيث أمر الله ﷻ عباده على لسان نبيه ﷺ أنهم إذا أرادوا

1 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (7/ 348)
2 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (3/ 533)
3 التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير ص 176

قراءة القرآن أن يلجأوا إلى الله ﷻ من وساوس الشيطان المرجوم الملعون المطرود من رحمة الله ﷻ؛ حتى لا تلتبس عليهم القراءة، ولتتدبر معاني القرآن[1]، وأنّ وسوسة الشيطان لا أثر لها على المؤمنين الصادقين، فالشيطان مهما تمرد وعتا، فإنه ليس له تسلط واستيلاء واستحواذ بالقهر والغلبة على نفوس الذين آمنوا بالله ﷻ حق الإيمان، والذين هم على الله ﷻ وحده يتوكلون، وإنما تسلّط الشيطان وتأثيره على الضالين الفاسقين الذين يتولونه ويطيعونه ويتبعون خطواته[2]

وحكم الاستعاذة: هي مندوبة عند كلّ تلاوة داخل الصّلاة وخارجها؛ للأمر بها في كتاب الله ﷻ، والذي صرف الأمر من الوجوب إلى الندب، أنّ النبي ﷺ كان يقرأ القرآن في الأحوال المختلفة، فلم يرد عنه التزام الاستعاذة، كلّما قرأ القرآن قليلًا منه أو كثيرًا، فدلّ ذلك على استحبابها[3]

وأما صيغتها: الذي عليه اختيار جميع القرّاء من حيث الرّواية، وعليه عامّة الفقهاء، الصيغة المذكورة في الآية السابقة، وهي: "أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم"، وأمّا الزّيادة على ذلك فقد وردت في خمس صيغ، وهي:

1. أعوذ بالله السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم.
2. أعوذ بالله العظيم من الشّيطان الرّجيم.
3. أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم، إنّ الله هو السّميع العليم.
4. أعوذ بالله العظيم من الشّيطان الرّجيم، إنّ الله هو السّميع العليم.
5. أعوذ بالله السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم، إنّ الله هو السّميع العليم[4]

---

1 التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (14/ 232)
2 التفسير الوسيط لطنطاوي (8/ 234)
3 المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله الجديع ص 497
4 النشر في القراءات العشر لابن الجزري (1/ 250)

2. الدعاء.

إنّ أيّة عبادة من العبادات لابد أن نستعين بالله ﷻ على أدائها بحيث تكون على أكمل وجه، حيث يقول ﷻ على لسان المؤمنين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ الفاتحة: ٥، والدعاء والتضرع إلى الله ﷻ أفضل شيء نستعين بهما على أداء العبادة، وقد حثّنا الله ﷻ على دعائه، والتضرع له، فقال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ غافر: ٦٠، وأعلم الله ﷻ عباده الذين يدعونه أنه قريب منهم، فقال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾ البقرة: ١٨٦، وإن من أجلّ العبادات التي يجب أن نلجأ إلى الله ﷻ ليوفقنا لها، هي التدبر في كتابه، ولقد حثّنا الرسول ﷺ على طلب العون من الله ﷻ لأداء عبادة الذكر وتلاوة القرآن، فعن معاذ بن جبل ﷺ قال: **أخذ بيدي رسول الله ﷺ فقال: "إنّي لأحبّك يا معاذ"، فقلت: وأنا أحبّك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: "فلا تدع أن تقول في كل صلاة: ربّ أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"**[1]، ومعلوم أن تلاوة القرآن من أفضل الذكر.

وإن العامل الرئيس لتدبر القرآن، وتذوقه، واستخراج كنوزه، هو استشعار الحاجة إليه والرغبة فيه، وهذا الشعور لابد أن يترجم في هيئة دعاء وتضرع إلى الله ﷻ، بأن ييسّر لنا فهم كتابه، وحسن تدبره، والعمل بما فيه، وندعوه ﷻ بأن يمنع عنا كل ما

1 سنن النسائي (53/3) حديث رقم (1303)

يثبّط عزائمنا، ويبعدنا عن التدبر، ونلحّ عليه بأن يحبّب إلى قلوبنا تدبر القرآن، وأن ينوّر قلوبنا بنوره[1]، ولا ينبغي أن يدفعنا تأخر الإجابة إلى اليأس، وترك الدعاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ قال: "**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي**"[2]

وبحسب الاستعداد من العبد، يكون الإمداد من الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه: ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ الأنفال: ٧٠، فالبداية تكون من العبد: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ النساء: ٣٥

3. القراءة في الصلاة مع حضور القلب:

إن من الأسباب المهمة التي تعين العبد على تدبر القرآن الكريم: حضور القلب في أثناء قراءته، وخاصة في الصلاة، ويجب على العبد إذا أراد الانتفاع بالقرآن أن يجمع قلبه عند تلاوته وسماعه، وأن يحضر حضور من يخاطب به، فإنه خطاب من الله سبحانه وتعالى للعبد على لسان رسوله ﷺ، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ ق: ٣٧، وذلك أن تمام التّأثير يجب أن يكون موقوفًا على مؤثر، ومحل قابل للتأثر، وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الّذي يمنع منه، وقد تضمّنت الآية بيان ذلك كلّه بأوجز لفظ، وأبينه، وأدلّه على المراد[3]

1 العودة إلى القرآن لمجدي الهلالي ص 95
2 صحيح البخاري (8/ 74) حديث رقم (6340)
3 الفوائد لابن القيم ص 3

وإلقاء السمع: مستعار لشدة الإصغاء للقرآن، ولمواعظ الرسول ﷺ، كأن أسماعهم طرحت في ذلك، فلا يشغلها شيء آخر تسمعه. والشهيد: صيغة مبالغة للدلالة على قوة المشاهدة، أي: تحديق العين إليه؛ للحرص على فهم مراده، فإن النظر يعين على الفهم[1]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: **"اقرأ عليّ"، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: "فإنّي أحبّ أن أسمعه من غيري" فقرأت عليه سورة النّساء، حتّى بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾** النساء: ٤١، **قال: "أمسك"، فإذا عيناه تذرفان"**[2]

ومما يعين على تدبر القرآن: القيام به في الليل، وهو من أهم مفاتح تدبر القرآن، وأعظمها شأنًا، وقد ورد عدد من النصوص تؤكد أهميته، من ذلك قوله ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ الإسراء: ٧٩، وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **"وإذا قام صاحب القرآن فقرأه باللّيل والنّهار، ذكره، وإذا لم يقم به نسيه"**[3]

وأهم شيء في تدبر القرآن، هو تذكّر آيات القرآن الكريم، وكونها حاضرة في القلب في كل آن، وخاصة في المواقف الصعبة في الحياة، مواقف الشدة والذهول، المواقف التي يفتتن فيها المرء ويمتحن ويختبر، فمن كان يقوم به آناء النهار فتجد إجابته حاضرة وسريعة وقوية، تجده وقّافًا عند كتاب الله ﷻ، تجده آمنًا مطمئنًّا في جميع المواقف، تجده قويًّا متماسكًا حتى في أصعب الظروف.

1 التحرير والتنوير لابن عاشور (26/ 324)
2 صحيح البخاري (6/ 45) حديث رقم (4582)
3 صحيح مسلم (1/ 544) حديث رقم (789)

4. التفكر في معاني الآيات والتفاعل معها:

وإن مما يعين على تدبر القرآن: التفكر في معاني الآيات والتفاعل معها، والقرآن يحثنا على التأمل والتفكر، وإعمال العقل، والنظر في هدايات الآيات؛ لننتفع بها في الدنيا والآخرة، حيث يقول ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النحل: ٤٤، وفي عطف ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ حكمة أخرى من حكم إنزال القرآن، وهي تهيئة تفكّر الناس في معانيه وفهم فوائده، وتأملهم فيما يقرّبهم إلى رضا الله ﷻ"[1]

وأن يستحضر أنّه مخاطب بما يقرأ، فيتأمّل ذكر التّوحيد والإيمان، والأمر والنّهي، والوعد والوعيد، والقصص والأمثال، ويلاحظ ما يلزمه من ذلك من التّصديق والامتثال والاعتبار، ويراعي الجواب في موضع السّؤال، ولا يفوّت ما تقتضيه الآية من تسبيح أو تحميد أو تكبير أو استغفار أو دعاء، ويغتنم ذكر الجنّة بالرّغبة إلى ربّه ﷻ وسؤاله الفوز بدخولها، وذكر النّار بالرّهبة وسؤاله ربّه النّجاة منها.

وفي السنة المطهرة ما يدلنا على هذا الأمر كذلك، فعن حذيفة ﷺ قال: "**صلّيت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثمّ مضى، فقلت: يصلّي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثمّ افتتح النّساء، فقرأها، ثمّ افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسّلًا، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ**"[2]

1 التحرير والتنوير لابن عاشور (14/ 164)
2 صحيح مسلم (1/ 536) حديث رقم (772)

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ: كان إذا قرأ: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾ الأعلى: ١، قال: "سبحان ربّي الأعلى"[1]

وقد أثنى الله ﷻ ورسوله ﷺ على من يقرأ القرآن، ويفقه معانيه، ويعمل بما جاء فيه، قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨ ﴾ الزمر: ١٧ - ١٨، وفي قوله ﷻ: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٦٩ ﴾ البقرة: ٢٦٩

قال الطبري: "يعني: الفهم في القرآن"[2]

إن الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من السرعة مع كثرتها؛ لأن المقصود من القرآن فهمه والتفقّه فيه والعمل به، وتلاوته وحفظه وسيلة إلى التدبر فيه، **وقال بعض العلماء:** "إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجلّ وأرفع قدرًا، وإن ثواب كثرة القراءة أكثر عددًا"[3]

يجب علينا المداومة على استخدام هذه الوسيلة، والتي سنجد لها أثرًا عظيمًا بمشيئة الله ﷻ في دوام يقظة العقل، وسرعة تجاوب القلب.

1 سنن أبو داود (1/ 233) حديث رقم (883)
2 جامع البيان للطبري (5/ 8)
3 النشر في القراءات العشر لابن الجزري (1/ 208)

5. اختيار الوقت المناسب:

إنّ من العوامل المساعدة على التدبر في القرآن أيضًا: قراءته وسماعه في موضع سكون، وتجتنب القراءة في مواضع اللّغط وارتفاع الأصوات؛ لما يقع بها من التّشويش عليه، فلا يتحقّق له المقصود من التّلاوة على وجهه[1]

قال النووي: "إن أفضل القراءة ما كان في الصلاة، أما القراءة في غير الصلاة، فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير من الليل أفضل من النصف الأول، والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة، وأما القراءة في النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح، ولا كراهية في القراءة في أي وقت من الأوقات"[2]

ويحثنا الله ﷻ على إطالة القراءة في الصلاة، وخاصة صلاة الفجر فقال ﷻ:

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ ﴾ الإسراء: ٧٨

﴿ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ حثًّا على تطويل القراءة في صلاة الفجر؛ لأن هذا الوقت يكون مشهودًا تشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار"[3]

ولهذين الوقتين خاصّيتهما، وهما إدبار النهار وإقبال الليل، وإدبار الليل وإقبال النهار، ولهما وقعهما العميق في النفس، فإن مقدم الليل وزحف الظلام، كمطلع النور وانكشاف الظلمة، وكلاهما يخشع فيه القلب، وكلاهما مجال للتأمل والتفكر في نواميس الكون التي لا تفتر لحظة، ولا تختل مرة، وللقرآن –كما للصلاة– إيقاعه في

1 المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله الجديع ص 495
2 التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص 155 - 156
3 إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (5/ 189)

الحس في مطلع الفجر ونداوته، ونسماته الرخية، وهدوئه السارب، وتفتّحه بالنور، ونبضه بالحركة، وتنفّسه بالحياة".

6. الإنصات عند سماع القراءة:

وقد أمر الله ﷻ من حضر التّلاوة بالإنصات؛ لئلّا يشغل عن القرآن بغيره وهو يسمعه، ولئلّا يرد عليه من التّشويش ما يفوّت عليه التّدبّر، كما قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٤

"وإن الناس يخسرون خسارة كبيرة عندما ينصرفون عن القرآن، وإن الآية الواحدة لتصنع أحيانًا في النفس –حين تستمع لها وتنصت– أعاجيب من الانفعال والتأثر والاستجابة والإدراك، والطمأنينة والراحة، وإنّ العكوف على هذا القرآن في وعي وتدبر لا مجرد التلاوة والترنم لينشئ في القلب والعقل من الرؤية الواضحة البعيدة المدى، ومن المعرفة المطمئنة المستيقنة، ومن الحرارة والحيوية والانطلاق، ومن الإيجابية والعزم والتصميم ما لا تدانيه رياضة أخرى أو معرفة أو تجريب، وإن رؤية حقائق الوجود، ورؤية الحياة البشرية وطبيعتها وحاجاتها من خلال التصوير القرآني، لهي رؤية واضحة عميقة، وهذا كله أرجى إلى الرحمة، ويكون ذلك في الصلاة وفي غيرها. وليس هناك ما يخصص هذا التوجيه القرآني العام بالصلاة فقط".

وقال السعدي: "والفرق بين الاستماع والإنصات: أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه، وأما الاستماع له: فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبّر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى

كتاب الله ﷻ، فإنه ينال خيرًا كثيرًا وعلمًا غزيرًا، وإيمانًا مستمرًّا متجددًا، وهدى متزايدًا، وبصيرة في دينه؛ ولهذا رتّب الله ﷻ حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تلي عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير"[1]

وقال ابن القيم في معنى السماع في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾: "والمقصود: أن سماع خاصة الخاصة المقرّبين هو سماع القرآن بالاعتبارات الثلاثة: إدراكًا وفهمًا، وتدبرًا، وإجابة، وكل سماع في القرآن مدح الله ﷻ أصحابه وأثنى عليهم، وأمر به أولياءه، فهو هذا السماع"[2]

ولتحقيق هذا المعنى منع المصلّي من رفع صوته بالقراءة إذا كان مع غيره، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنّ رسول الله ﷺ خرج على النّاس وهم يصلّون، وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال ﷺ: "**إنّ المصلّي يناجي ربّه، فلينظر بما يناجيه به، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن**"[3]

7. الخشوع عند سماع القرآن:

ومن الأسباب المعينة على التدبر أيضًا الاجتهاد في الخشوع عند سماع القرآن، ولا بأس بالبكاء، بل هو حسن لمن قدر عليه من غير تكلّف، وأنه تقشعرّ، وتضطرب جلود الذين يخافون ربهم ﷻ من سماعه؛ تأثرًا بما فيه من ترهيب ووعيد، ثم تلين جلودهم وقلوبهم؛ استبشارًا بما فيه من وعد وترغيب، وذلك كله من تأثير الخشوع، قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ

1 تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 314
2 مدارج السالكين لابن القيم (1/ 481)
3 موطأ مالك (1/ 80) حديث رقم (29) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (4/ 128)

يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزمر: ٢٣، وقال ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الحديد: ١٦، وقال ﷻ: ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩، قال ﷻ في وصف الذين أنعم عليهم: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾ مريم: ٥٨

فهذه الآيات البيّنات واضحة الدّلالة على الأمر بالخشوع، وبيان ما يكون من حال الصّفوة من عباد الله ﷻ من النّبيّين، وأولي العلم عند سماع الآيات تتلى عليهم من الخضوع والبكاء من خشية الله ﷻ، فعن ابن مسعود ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ: "اقرأ علي"، قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك، وعليك أنزل، قال: "نعم"، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ النساء: ٤١، قال: "حسبك الآن"، فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان"[1]

1 صحيح البخاري (6/ 196) حديث رقم (5050)

وهذا معنى يشترك فيه التّالي والمستمع، وعلى هذه الصّفة كان أصحاب النبي ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "إنّ أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ غلبه البكاء"[1] وذلك واقع في صلاة وفي غيرها، وهو أمر يجلبه الخشوع للقرآن، ولا يملك الخاشعون ردّه، وهم يتلون آيات الله ﷻ، أو تتلى عليهم؛ ولذا سيق ذلك عنهم مساق المدح. وكذلك حكت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما من حال الصحابة ﷺ، فعن عبد الله بن عروة بن الزّبير ﷺ عن جدّته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قال: قلت لها: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟ قالت: "كانوا كما نعتهم الله، تدمع أعينهم، وتقشعرّ جلودهم"، قال: فإنّ ناسًا إذا قرئ عليهم القرآن خرّ أحدهم مغشيًّا عليه، قالت: "أعوذ بالله من الشّيطان"[2]

وفي هذا إنكار من أسماء رضي الله عنها أن يبلغ الخشوع بصاحبه إلى الغشيان، وإنّما ذلك بالقشعريرة ودمع العين، كذلك كان حال النبي ﷺ وحال أصحابه، ولا يعرف ذلك الغشيان فيهم، ولا يثبت عن أحد منهم، أنّه كان يصعق عند القرآن، إنّما ذكر ذلك عمّن بعدهم، وهدي النبي ﷺ وأصحابه ﷺ أحسن الهدي وأكمله"[3]

8. ترديد الآيات وتكرارها:

إنّ ترديد الآية وتكرارها وإعادتها مع التأمل وزيادة التفهم لها، من الأسباب المعينة على التدبر، وقد استعمل القرآن هذا الأسلوب، فمثلًا في سورة الرحمن كرّر الله ﷻ آية ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ الرحمن: ١٣، إحدى وثلاثين مرة؛ لتذكير الجن والإنس بهذه النعم؛ كي يشكروا الله ﷻ عليها شكرًا جزيلًا"[4]، وفي سورة

1 صحيح البخاري (1/ 137) حديث رقم (682)
2 الزهد والرقائق لابن المبارك (1/ 359) حديث رقم (1016)
3 المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله الجديع ص 506
4 التفسير الوسيط لطنطاوي (14/ 127)

الشعراء كرّر الله ﷻ: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ الشعراء: ١٠٨، ثماني مرات، مما يجعلنا نتدبرها ونتفكر بها مرة بعد مرة؛ حتى نصل إلى أفضل النتائج من التدبر، والقرآن العظيم متشابهٌ في حسنه وإحكامه وعدم اختلافه، تكرّر فيه القصص والأحكام، والحجج والبينات، وتعاد تلاوته فلا يملّ على كثرة الترداد ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزمر: ٢٣"[1]

وعن أبي ذرّ ﷺ قال: قام النبي ﷺ حتّى إذا أصبح بآية، والآية: ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ المائدة: ١١٨"[2]

وإن النبي ﷺ قام بهذه الآية طول الليل، وهذا الترديد من أجل أن يعلّم النبي ﷺ أمته تأمل وتفهم خطورة هذه الآية، وتظل هذه الأمة تسأل، وتتوقف عند دلالات كثيرة في الآية.

يقول ابن القيم: "ولو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية هو محتاج إليها في شفاء قلبه كرّرها ولو مائة مرة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر ولا تفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن، وهذه كانت عادة السلف، يردد أحدهم الآية إلى الصباح"[3]

1 التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير ص 461
2 سنن النسائي (2/ 177) حديث رقم (1010)
3 مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 187)

والهدف من التكرار، هو التوقف لاستحضار المعاني، وكلما كثر التكرار زادت المعاني التي تفهم من النص، والتكرار أيضًا قد يحصل لا إراديًّا تعظيمًا أو إعجابًا بما قرأ[1]، ولنعمل على دخول أكبر قدر من النور إلى قلوبنا بترديد تلك الآية مرات ومرات، وعلينا ألا نمل من ذلك طالما وجد التجاوب، وشيئًا فشيئًا ستتبدد الظلمات من القلب ويطرد الهوى، ويصبح النور هو الغالب فيه، فيسهل عليه التأثر بالآيات ويزداد لينه وخشوعه بها.

9. الترسّل والتمهّل عند القراءة:

ومن الأسباب المعينة على التدبر أيضًا الترسل والتمهل أثناء القراءة، قال ﷻ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ المزمل: ٤، **والترتيل** يعني: الترسل والتمهل، ومن ذلك مراعاة المقاطع والمبادئ وتمام المعنى، بحيث يكون القارئ متفكرًا فيما يقرأ، فمن أسرع القراءة، فقد اقتصر على مقصد واحد من مقاصد قراءة القرآن، وهو: ثواب القراءة، ومن رتّل وتأمل، فقد حقّق المقاصد كلها وكمل انتفاعه بالقرآن، واتبع هدي النبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم"[2]

قال ابن كثير في تفسيره للآية: "أي: اقرأه على تمهّل؛ فإنه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبره"[3]، وعندما سئل أنس رضي الله عنه كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: "**كانت مدًّا، ثمّ قرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾** الفاتحة: ١، **يمدّ ببسم الله، ويمدّ بالرّحمن، ويمدّ بالرّحيم**"[4]

1 علوم القرآن الكريم لنور الدين عتر ص 278
2 مفاتح تدبر القرآن لخالد اللاحم ص 48
3 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (8/ 261)
4 صحيح البخاري (6/ 195) حديث رقم (5046)

وقد أمر الله ﷻ بالترتيل وأكّده بقوله: ﴿ تَرْتِيلًا ﴾ وهو مفعول مطلق مؤكّد، وهذا ما يجعله للوجوب، لكن جمهور العلماء على أن الأمر للندب، ويقرأ القرآن على منازله: فإن كان يقرأ تهديدًا كان أداؤه كالمتهدّد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم كان أداؤه على التعظيم، وإن كان تساؤلًا كان أداؤه كالمتسائل، وهكذا[1]

وقال النووي: "واتفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع ويسمى: الهذّ، قالوا: وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزأين في قدر ذلك الزمن بلا ترتيل، قال العلماء: والترتيل مستحب للتدبر، ولأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير، وأشد تأثيرًا في القلب؛ ولهذا يستحب الترتيل للأعجمي الذي لا يفهم معناه"[2]

10. المدارسة الجماعية:

ومن المعينات على التدبر كذلك: حلقات المدارسة الجماعية، حيث قال ﷻ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ فاطر: ٢٩

ومعنى هذه الآية: "أنّ الذين يستغرق جميع أوقاتهم قيامهم بذكر الله ﷻ وبحقّه، وإتيانهم بأنواع العبادات وصنوف القرب فلهم القدر الأجلّ من التقريب، والنصيب الأوفر من الترحيب"[3]، ولا شكّ أن من تمام التلاوة والذكر المدارسة الجماعية لهذا القرآن الكريم بتدبر الآيات، والعيش معها، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه**

1 علوم القرآن الكريم لنور الدين عتر ص 279
2 المجموع شرح المهذب للنووي (2/ 165)
3 لطائف الإشارات للقشيري (3/ 203)

بينهم، إلاّ نزلت عليهم السّكينة، وغشيتهم الرّحمة وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطّأ به عمله، لم يسرع به نسبه"[1]

إن وجود حلقات المدارسة القرآنية من الأهمية بمكان لتعليم الناس، كيف يدخلون إلى عالم القرآن فيهتدون بهداه، ويستشفون بشفائه، **قال النووي:** "اعلم أن قراءة الجماعة مستحبة بالدلائل الظاهرة، وأفعال السلف والخلف المتظاهرة"[2]

وهذه الحلقات، وإن كانت منتشرة في المساجد هنا وهناك إلا أن مفهومها قد اختزل على تعلم أحكام التجويد، وتصحيح النطق فقط، وهذا الأمر مهم وضروري، ولكنه لا يكفي لتعلم القرآن كما يريد الله ﷻ، بل هو بداية لابد أن يتبعها تعلّم المعاني وجوانب الهدى والإيمان فيما يتلى من آيات، فيسهل على من يواظب عليها، التعامل مع القرآن بمفرده.

وأما القراءة بالدور: وعبّروا عنها بقولهم (الإدارة بالقرآن)، وهو أن يجتمع جماعة يقرأ بعضهم عشرًا، أو أكثر أو أقل، ثم يسكت ويقرأ الآخر من حيث انتهى الذي قبله، فهذا جائز حسن أيضًا، ولا إشكال فيه، وثوابه عظيم"[3]

الحادي عشر: أساليب القرآن في الحث على تدبرّه:

تنوعت أساليب القرآن الكريم في الحث على تدبّره؛ فمنها ما جاء بأسلوب الحض على التدبر في آياته وأحكامه، ومنها ما كان بجعل التدبّر حكمةً لإنزاله، وهذا بيان لهذه الأساليب، من خلال ما يأتي:

1 صحيح مسلم (4/ 2074) حديث رقم (2699)
2 التبيان في آداب حملة القرآن للنووي، ص 101
3 التبيان في آداب حملة القرآن للنووي، ص 103

أولًا: الحض على التدبر:

وقد ورد ذلك واضحًا في قوله ﷻ: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِى تَقُولُ ۖ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨١ - ٨٢

حيث إن الآية الأولى بيّنت أن المنافقين يقولون باللسان: مرنا؛ فإن أمرك طاعة، فإذا خرجوا من عند النبي محمد ﷺ بدّل طائفة منهم غير الذي تقول، فيخاطب الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ، بقوله: إن الله ﷻ يحصي ويحفظ ما يبدّلون؛ ليجازي كلٌّ بما قدّم، فعليك ألّا تخبر بأسمائهم -وكان ﷺ يعرف المنافقين-، وعليك أيضًا أن تتوكل على الله ﷻ فهو حسيبك وكافيك، وتأتي الآية الكريمة الثانية لتبيّن في تساؤل غرضه الحث على انصراف المنافقين عمّا هم عليه، والإقبال إلى ما عند الله ﷻ، كما وضّح في كتابه الكريم، فيقول ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ بنظرهم في الأمر إلى آخره، وبالتفكير في هذا القرآن الذي ليس فيه تناقض ولا تفاوت؛ إذ لو كان من عند غير الله ﷻ مهما عظمت فصاحته- لما استطاع هذا المفتري على القرآن أن يخبر عن الغيب أو غيره مما هو في القرآن؛ بل لوجد الناس بعضه صدقًا، ومعظمه كذبًا"[1]

ولا شكّ أن هذه الآية الكريمة كافية للمؤمن المخاطب بها بطريقة غير مباشرة؛ كي تكون زادًا له في الحث على تدبّر القرآن الكريم آيةً آيةً، بل كلمةً كلمةً، كيف لا؟!

1 تفسير القرآن للسمعاني (1/ 453)

وهو القرآن الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: ٤٢

ثانيًا: جعل التدبّر حكمة إنزال القرآن:

ورد ذلك واضحًا في قوله ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص: ٢٧ - ٢٩، فقد بيّنت الآيات السابقة أن الله ﷻ لم يخلق السماء والأرض وما بينهما هزلًا ولعبًا، وأن ذلك حسبان الذين كفروا؛ فهم الذين أعدّ الله ﷻ لهم ويلًا ونارًا، وتساءلت الآية السابقة سؤالًا غرضه التقرير للمؤمنين، والتوبيخ للكافرين، وذلك بقوله: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، أم نجعل أصحاب محمد ﷺ المتقين كالكفار، وتأتي هذه الآية الكريمة بأسلوب استئنافي؛ لتقرير حقيقة، ألا وهي: أنّ هذا الكتاب الكريم الذي هو القرآن إنما هو منزّلٌ من الله ﷻ إلى قلب النبي محمد ﷺ، وهو مباركٌ؛ ليتدبّر الناس هذا القرآن، بل يتوجّب عليهم معرفة معانيه، والترتيل لآياته؛ إذ لا يصح التدبر إلا إذا قرئت أحكام التلاوة، وتأتي الفاصلة القرآنية لتبيّن سببًا آخر لإنزال هذا القرآن المبارك، وهو أن يتعظ ويعتبر أصحاب العقول بما فيه من أحكام وهدايات"[1]

1 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15/ 192)

الثاني عشر: ضوابط تدبر القرآن:

إن انفتاح القلب ليتلقَّى ويفهم من مراد الله ﷻ أمر مرغوب فيه، وهو داخل في عموم الأمر بتدبُّر القرآن الكريم، وألا يجعل الإنسان على قلبه قفلاً يمنع رزق الله ﷻ له من استشراف المعاني السامية للقرآن الكريم، غير أنَّ هذا لابدَّ فيه من معايير تحميه من القول بغير علم في كتاب الله ﷻ، ويمكن اعتبار أهم الضوابط العشر في تدبر آيات القرآن:

1. العلم برسوم القرآن وحدوده، ومعرفة أحكام التجويد وعلامات الوقف وغيرها؛ لأنَّ هذا يساعد على فهم معاني القرآن الكريم، والوقوف على كثير من مراد الله ﷻ.

2. الإلمام العام والإحاطة باللغة العربية، وذلك لأنَّه كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ يوسف: ٢، وقال: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الزمر: ٢٨، وكما قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إذا أشكل عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر ديوان العرب"[1]، ومن المعلوم أنَّ الشعر جامع لمعظم ضروب اللغة وأساليبها وبيانها وبلاغتها.

3. المعرفة العامة بمعاني القرآن الكريم، حتى لا يخبر من يتدبّر كتاب الله ﷻ بخلاف ما قاله أهل التفسير، فيكون تقوُّلاً على الله ﷻ بما لم يقل، بل يجعل ما يتدبَّره في سياق أهل التفسير.

4. عدم الانحصار في حدود القرآن ورسومه فحسب، فلا يكون الهمّ هو إيضاح

1 تفسير القرآن للسمعاني (6/ 28)

المعاني اللغويَّة والفقهيَّة وغيرهما، بل يفتح قلبه لأن يكون وعاءً لما يقذفه الله ﷻ فيه، وما يجريه على عقله من معاني وخواطر.

5. أن يكون عاملاً بالقرآن الكريم، معايشًا له في حياته، وقَّافًا عند حدوده، منفذًا لأوامره، مجتنباً لنواهيه، جاعله دستور حياته، وقانونه الذي يرجع إليه في صغير أمره وكبيره، وأن يتخلَّق بأخلاقه، وأن يتحلَّى بما ورد فيه من آداب وسلوك، **قال الحسن البصري**: "إنَّ من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبّرونها بالليل، وينفذونها بالنهار"[1]

6. أن يكثر من التلاوة منه، لأنَّ مداومة طرق الباب يتولَّد عنها الألفة والعشرة والمعايشة، فمن تقرَّب من القرآن تقرَّب منه، ومن عاش معه عايشه، ومن أعطاه من وقته، وهبه الله ﷻ ممَّا يجعله مستقيم الحال، عالما بأسراره وكوامنه.

7. أن يكثر من القيام بالقرآن في جوف الليل ووقت السحر، فإنَّه أنقى للمسلم أن يفتح قلبه، وتستعد نفسه لما يقذفه الله ﷻ من معاني التدبر والفهم لمراده ﷻ من كلامه.

8. أن يهيئ المكان الذي سيقرأ فيه القرآن ويتدبر فيه معانيه، فلا يكون فيه ما يشغله عن التدبر، ومن هنا كان من آداب التلاوة أن يكون على طهارة أو يتسوك أو ينظف المكان أو يضع عطرا ونحو ذلك.

9. أن يتحلَّى المسلم بالإخلاص في قراءته وتلاوته، فإنَّه أدعى أن يفتح الله ﷻ له من فضله فيما يخصّ كلامه، فإن قَصْد الناس بالتلاوة حاجبٌ عن فيوض الله ﷻ له.

1 المجموع شرح المهذب للنووي (2/ 169)

10. أن تكون له صحبة تعينه على التدبر، وأن تصحّح له إن أخطأ، وتنصح له عند الحاجة، وتأخذ بيده في طريق الله ﷻ، كما قال موسى عليه السلام فيما حكى عنه القرآن: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥ ﴾ طه: ٢٩ - ٣٥

وما أجمل ما ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "ينبغي لحامل القُرآن أن يُعرف بليله إذا النَّاس نائمون، وبنهاره إذا النَّاس مفطرون، وبحزنه إذا النَّاس يفرحون، وببكائه إذا النَّاس يضحكون، وبصمته إذا النَّاس يخوضون، وبخشوعه إذا النَّاس يختالون"[1]

وعن الفضيل بن عياض قال: "حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهوا مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغوا مع من يلغو تعظيمًا لحقّ القرآن"[2]

وليعلم أنّ القرآن دواء، ولن يكون دواءً لأسقام النفوس والأجساد إلا إذا كان بالتدبّر، **قال إبراهيم الخواص**: "دواء النفس خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرُّع عند السَّحر، ومجالسة الصالحين"[3]

الثالث عشر: خطوات تدبر القرآن:

يحتاج تعلُّم تدبُّر القرآن إلى خطوات يسلكها المتعلم وصولاً إلى فهم المعنى المراد، ومن تلك الخطوات:

1 مصنف بن أبي شيبة (7/ 231) حديث رقم (35584)
2 حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني (8/ 92)
3 حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني (10/ 327)

1. الاستعداد النفسي للتدبُّر:

فتدبُّر القرآن يبدأ من إرادة الشخص داخليّاً، ثمّ يظهر أثر القرآن وتدبُّره، ولا يمكن أن يتحقّق ذلك دون وجود إرادة أو دافع؛ ليتعلّم التدبُّر، ويطبّق ذلك في أمور حياته، وقد يوجّه المعلم تلاميذه، إلّا أنّ الدور الأكبر يقع على عاتق الشخص نفسه؛ بالتأمُّل، والنَّظر، والبحث؛ فالتدبُّر عمليّة ذهنيّة، ويمكن تحقيق الاستعداد باختيار المكان المناسب، وتوطين القلب على التدبُّر، واختيار الوقت الملائم؛ لئلّا ينصرف تركيزه عن القرآن، ويتأثّر بما يدور حوله، وممّا يساعد على ذلك: استقبال القبلة عند القراءة، والحرص على الطهارة، والخشوع في الجلسة، أمّا الأوقات المفضَّلة، فمنها وقت السَّحر.

2. التوجُّه إلى الله ﷻ بالدعاء:

فالاعتماد على الأسباب دون الرجوع إلى مسبّب الأسباب من الأخطاء التي قد يقع فيها العباد؛ إذ لا بدّ من اللجوء إلى الخالق ﷻ في أمور الحياة جميعها، وطلب التوفيق والإعانة منه؛ لتحقيقها ما يراد منها، والتوجُّه إلى الله ﷻ أن يرزقه العيش في رحاب القرآن بصدق، وأن يجعل القرآن ربيعاً لقلبه، وشفيعاً وشاهداً له يوم القيامة، ويسهّل عليه فهم الآيات.

3. المراقبة الذاتيّة أثناء القراءة:

إذ إنّ على القارئ أن يراقب نفسه أثناء القراءة، وينظر إلى ما يمنعه من الوصول إلى التدبُّر، ويبحث عن الحلول لتجاوزه، ويسعى إلى استخدام الطرق والحالات التي يستفيد منها، كالقراءة من المصحف نفسه، أو القراءة مما يحفظه، وينظر إلى قراءته أثناء الصلاة، وخارجها؛ فإن كان تدبُّره وفهمه للآيات في الصلاة

أفضل من خارجها، فإنّه يحرص على الإكثار من صلاة النوافل، وإن كان تدبُّره خارج الصلاة أفضل، فإنّه يحرص على الإكثار من قراءة القرآن في النهار، والليل، كما يمكن تحقيق التدبُّر بتلاوة الآيات بصوت عالٍ، أو خفضه؛ بحسب الحال الذي يحقّق ذلك، ويمكن تحديد الأماكن التي تحقّق التدبُّر بصورة أكبر؛ فإن كان المسجد على سبيل المثال مكاناً للخشوع؛ لبعده عن ملهيات الحياة، فلا بُدّ من الحرص على زيارة المسجد.

4. عدم التعجُّل في القراءة:

يحتاج تدبُّر القرآن إلى التأنّي، ولا بدّ من تلاوته بهدوء ورويّة، والحرص على تعويد النفس على ذلك؛ فالاستعجال في القراءة ليست وسيلةً لإدراك معاني القرآن، ولا يتحقّق الخشوع عند قراءة الآيات، وليست الغاية من قراءة القرآن ختمه فقط، بل لا بد من التعمُّق والبحث عن مقاصد القرآن، وقد ورد أنّ الأفضل للمسلم عدم ختم القرآن في أقل من ثلاث أيّام؛ استناداً إلى السنّة النبويّة، وإن كانت القراءة في شهر رمضان.

5. اعتبار الخطاب الإلهي موجَّهاً إلى النَّفس:

فخطاب الله ﷻ موجَّه إلى كافّة الناس على اختلاف العصور والأزمنة؛ فالتدبُّر يتحقّق بشعور العبد بأنّ الآيات خطاب موجَّه من الله ﷻ إليه، فيستشعر الآيات، ويقف عليها، ويسعى إلى استجابة أمر الله ﷻ الوارد في الآيات، فإن قرأ آيةً فيها نهي ابتعد وترك ذلك الأمر، وكأنّه موجَّه إليه، وإن سمع آيات عن قصص الأمم السابقة اعتبر واتَّعظ بها، وعلى المتدبر أن يسقط القرآن على نفسه، وواقعه، ويتساءل عن مراد الله ﷻ، وغايته.

6. المحافظة على الورد اليومي:

فقد أمر الله ﷻ عباده بتلاوة القرآن، ولم يلزمهم بقدر معيَّن؛ فكل شخص له ظروف تختلف عن غيره، ولهذا يقرأ بحسب ما يناسبه، فقراءة القرآن تعدّ الصلة التي تربط بين العبد وربه ﷻ، وعلى كل شخص أن يحافظ على تلك الصلة بالطريقة التي تناسبه، وعلى كل مسلم أن يكون له ورد خاص به؛ ورد للتلاوة، ويستحب أن يكون الورد يوميّاً، وورد للحفظ والمراجعة، وورد للاستماع، وورد للدراسة؛ بالتأمُّل في معاني القرآن، وفهمها، وورد للمدارسة مع الغير، وورد خاص للتدبُّر؛ بالوقوف على الآيات، والبحث في معانيها، والرجوع إلى كتب التفسير؛ للكشف عمّا هو غامض، وقد تعينه على ذلك مشاركته غيره من أصحاب الهمم العالية؛ فيقرأ القرآن معه، ويستمعان إليه، مع الحرص على البحث في كتب التفسير؛ للوقوف على المعاني، ومراجعتها سويّاً.

الرابع عشر: درجات تدبُّر القرآن:

يكون تدبُّر القرآن على درجات عدّة، بيانها فيما يأتي:

1. التفكُّر والنَّظَر:

فالتفكُّر من أجل الأعمال شرفاً؛ إذ إنّه من أعمال القلوب، وبه تتحقّق أعلى درجات الإيمان، كما أنّ التفكُّر يبعد العبد عمّا يخالف أوامر الله ﷻ؛ وذلك بالتفكُّر في عاقبة الأمور، وما يترتّب على المعاصي من جزاء وعقاب، فيلتزم العبد بأوامر الله ﷻ، ويحرص على ما يتعلّق بالآخرة، وما ينجيه من العذاب الأليم، فيكون التفكُّر بذلك مفتاحاً وبوّابةً لكل فعل خير، بالإضافة إلى أنّ التفكُّر يشعر العبد بقدرة الله ﷻ على كل شيء.

2. خشوع القلب والتأثُّر:

ويكون ذلك بسكون القلب وخضوعه لله ﷻ فقط، فترتقي الجوارح وتخضع لله ﷻ، وتجدر الإشارة إلى أنّ القلب محل الخشوع، كما وردت العديد من المواقف التي تبيّن خشوع النبي ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم لله ﷻ، وتذلُّلهم له، ويمكن تحقيق الخشوع في القلب باستحضاره للحزن، والخوف من الوعيد، والنَّظَر في مدى التقصير تجاه الله ﷻ.

3. الاستجابة والخضوع:

تكمن الحكمة من إنزال القرآن في الاستجابة لأوامر الله ﷻ، والخضوع له، ولذلك فإنّ التدبُّر وسيلةٌ لشأن عظيم يتمثّل بجعل القرآن منهجاً للحياة، وطريقاً للهدى؛ فالقرآن مليء بالدروس والعبر التي توجّه العبد في حياته، فيخضع لأمر الله ﷻ؛ بالوقوف عند حدوده، وعدم تجاوزها، وقد كان السَّلف الصالح رضي الله عنهم يتعلمون القرآن، ويطبّقون ما فيه.

4. استخراج الأحكام:

إذ يتوجّب على العلماء البحث في معاني القرآن، وتفسيره، وتعلُّمه، وتعليمه للآخرين، والوصول إلى تلك الدرجة من كمال القلب، والبصيرة، ويشترط في من أراد استنباط الأحكام عدّة أمور، منها: أن يكون صاحب قصد سليم، وعالماً بمواطن الاستنباط، ومعتمداً على الحجّة وإدراك العلوم الضروريّة، مع امتلاك المقدرة على فهم معاني الآيات، ومعرفة الدلالات، والمقاصد، والإشارات اللطيفة، ومن الأمور المتعلّقة بالاستنباط كذلك: معرفة موضوع السورة، وأسباب النزول، والمناسبة بين الآيات والسُّور، ومعرفة التشابه والاختلاف بين الآيات.

الخامس عشر: أمور تساعد على تدبُّر القرآن:

هناك العديد من الأمور التي تعين على تدبُّر القرآن، ومنها:

تلاوته ليلاً؛ إذ إنّ التلاوة في صلاة الليل تساعد العبد على التأمُّل، والوقوف على المعاني، والمقاصد؛ لما في الليل من هدوء، وبعد عن مشاغل الحياة الدُّنيا، بالإضافة إلى حسن الإنصات، والاستماع؛ لتحقيق الانتفاع بالقراءة، والاعتبار بما فيها من مواعظ، وحكم، ومعرفة كيفيّة البدء بالآية، والوقوف عندها؛ أي مراعاة أحكام الابتداء والوقف؛ للبحث عن أسباب الرَّبط بين الآيات، والتأمُّل في معانيها؛ فالجهل بالمعنى قد يكون سبباً في عدم التلذُّذ عند قراءة القرآن، والوصول إلى المراد يسهم فيه تدبُّر القرآن، فيقف عند المعاني كلّها، ويتأمّل ما فيها من أوامر، ونواه، كما أنّ تكرار الآية أكثر من مرّة يساعد في التدبُّر، وله أثر في القلب، وتتحقّق به حلاوة الإيمان، بالإضافة إلى معرفة أساليب القرآن العديدة، مثل: الآيات المختومة بأسماء الله الحُسنى، والغاية من ذلك، واشتمال القرآن على أساليب التعليم، كضرب الأمثلة، والتشبيه بالمحسوسات، ومن الأساليب القرآنيّة أيضاً: التذكير بأمر الله ﷻ، وعظمة الخالق ﷻ، والتشويق لما أعدّه من أجر وثواب، والنَّهي عن السخرية والاستهزاء، وذكر الخسارة التي يقع فيها من ارتكب النواهي، وعاقبته في الآخرة.

السادس عشر: معوقات تدبُّر القرآن:

تتعدّد الأسباب والمعوقات التي تحول دون تدبُّر القرآن، يذكر منها:

1. الإصرار على المعاصي:

وهو من أكبر المعيقات التي تبعد المسلم عن تدبُّر القرآن، كما أنّ ارتكاب الجوارح المعاصي بمختلف الطُّرق يحول دون فهم الآيات، وإدراك مراد الله ﷻ، ممّا يؤدّي إلى تعلُّق القلب بالملذّات والشهوات.

2. انشغال القلب:

فالقلب المنشغل عن الله ﷻ وكتابه بأمور الدُّنيا لا يمكن له أن يتأثّر بما ورد في القرآن؛ فحضور القلب من أهم الأمور للتفكُّر والتدبُّر في القرآن.

3. الجهل باللغة العربيّة:

فعدم معرفة أساليب اللغة العربيّة يحول بين العبد وتدبُّر القرآن؛ ذلك أنّ الجزء الأكبر من القرآن يعتمد اعتماداً كبيراً على اللغة العربيّة، ولا يفهم إلّا بها، ويكمن القصد من تعلُّم العربية في معرفة معاني كتاب الله ﷻ، وكلام نبيّه ﷺ

4. الورع:

فقد يترك تدبُّر القرآن من باب الخوف بالقول عن الله ﷻ دون علم، والظنّ بأنّ تدبُّر القرآن مهمّة المفسرين، والعلماء، والاكتفاء بالقراءة دون تدبُّر، وهجر كتب التفسير وعلوم القرآن؛ ممّا يؤدّي إلى الجهل بأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغيرها من علوم القرآن.

5. الانشغال بكثرة القراءة:

فورود العديد من الأحاديث في الحث على فضل التلاوة، والتشجيع على القراءة جعل البعض ينشغل بختم القرآن أكثر من مرّة خلال فترة قصيرة، وترك التدبُّر والتفكُّر في معاني القرآن.

السابع عشر: صوارف التدبر:

تركّز هذه النقاط على الأمور التي تكون مانعًا لتدبّر الإنسان في خلق الله ﷻ، أو في القرآن الكريم، ومن ثمّ يصل ذلك الإنسان إلى مراحل متقدمة من الجحود والإنكار لكافة جوانب الدين؛ لأنه لا يمارس هذه العبادة، التي هي من أعظم معينات الطاعة، وصوارف التدبر كثيرة، منها:

أولًا: الطبع والختم على القلوب:

وقد ورد ذلك واضحًا في قوله ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: ٢٤، فقد بيّنت الآية السابقة أن الله ﷻ طرد المنافقين أشدّ الطرد لما ذكر من إفسادهم وتقطيعهم الرحم، ثم بيّن سبب لعنهم، وهو أنهم صمّوا عن الانتفاع بما يسمعون، وعميت أبصارهم عن الارتفاق بما يبصرون، وتأتي هذه الآية الكريمة لتبين السبب الموجب للعن المسبب للصمم والعمى، وذلك من خلال قول الله ﷻ المنكر الموبّخ المظهر لتاء التفعّل إشارة إلى أن المأمور به صرف جميع الهمة إلى التأمل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ أي: كل من له أهلية التدبر بقلوب منفتحة منشرحة؛ ليهتدوا إلى كل خير ﴿ ٱلْقُرْءَانَ ﴾، بأن يجهدوا أنفسهم في أن يتفكروا في الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين كل ملبس تفكر من ينظر في أدبار الأمور، وماذا يلزم من عواقبها؛ ليعلموا أنه لا عون على الإصلاح في الأرض، وصلة الأرحام، والإخلاص لله ﷻ في لزوم كل طاعة والبراءة من كل معصية، مثل الأمر بالمعروف من الجهاد بالسيف وما دونه، وربما دل إظهار التاء على أن ذلك من أظهر ما في القرآن من المعاني، فلا يحتاج في العثور عليه إلى كبير

تدبر"[1]، ثم تأتي الفاصلة القرآنية لهذه الآية الكريمة فتبدأ بحرف الإضراب ﴿أَمْ﴾ الذي هو بمعنى: بل؛ للانتقال من توبيخ إلى توبيخ، فيكون المعنى: بل إن أولئك المنافقين بلغوا من هول حالهم وفظاعة شأنهم أنّ قلوبهم مطبوعٌ عليها؛ فهم لا يعقلون ولا يسمعون"[2]

ثانيًا: اتباع الهوى:

قد ورد ذلك واضحًا في قوله ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الجاثية: ٢٣

وقد بيّنت الآيات السابقة أن المؤمن لا يساويه الكافر في درجات السعادة، واستدلّ على صحة هذا القول بأنه خلق السماوات والأرض بالحق، ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون، ويقرر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أسباب ضلال المضلّين بقوله: أنظرت يا محمد ﷺ فرأيت من ترك متابعة الهدى والمداومة عليها، إلى مطاوعة الهوى والعبودية لها من دون الله ﷻ، وأضله الله ﷻ؛ حيث إن الكافر عالم بأنه ضالٌّ، وأنه يبدّل فطرة الله ﷻ التي فطر الناس عليها؛ حتى أصبح مختومًا على سمعه وقلبه؛ فلا يتأثر بالمواعظ، ولا يتفكّر في الآيات والنذر، ولم يكتفِ بذلك؛ بل جعل على بصره غشاوةً مانعةً من الاستبصار والاعتبار.

وإن الاستفهام استفهام تعجبي، فالله ﷻ في الآية يعجّب محمدًا ﷺ وكل مخاطب، ولا يقتصر على تعجبه هو ﷻ، وتأتي الفاصلة القرآنية في سؤال يفيد القدرة الإلهية، وأن الله ﷻ وحده المتفرد بالهداية التوفيقية، وذلك بقوله: فمن يهدي ذلك

1 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (18/ 243)
2 فتح البيان للقنوجي في مقاصد القرآن (13/ 71)

الكافر المتبع للهوى من بعد إضلاله ﷻ إياه بموجب تعاميه عن ذلك الهدى، وتماديه في الغيّ، وسؤالٌ آخر غرضه الحث والحضّ للكافرين على الانصراف عمّا هم عليه، بقوله: أفلا تلاحظون فتتذكرون واجباتكم والتزاماتكم؟"[1]

ثالثًا: الكبر:

قد ورد ذلك واضحًا في قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ القصص: ٣٨ - ٣٩

فقد بيّنت الآيات السابقة تكذيب فرعون وقومه لنبي الله موسى عليه السلام؛ فرغم مجيء المعجزات البيان على يد ذلك النبي المؤيّد من الله ﷻ، إلا أنهم ردّوا على نبيهم عليه السلام بقولهم: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر افتريته من قبلك وتخرّصته كذبًا وباطلًا ﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴿٣٦﴾ ﴾ الذي تدعونا إليه من عبادة من تدعونا إلى عبادته في أسلافنا وآبائنا الأولين الذين مضوا قبلنا"[2]

وعندها قال موسى عليه السلام مجيبًا فرعون: ربي أعلم بمن هو على حقّ منا يا فرعون من المبطل، ومن الذي جاء بالرشاد إلى طريق الصواب والبيان، من خلال واضح الحجة من عنده، وربي أعلم من الذي له العقبى المحمودة في الدار الآخرة منّا[3]، وتأتي هذه الآيات الكريمات لتستأنف الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون، فقد بيّنت هذه الآيات مدى فظاعة العلو والاستكبار عند فرعون وقومه، حيث تعمّد الكذب؛ إذ إنه يعلم

1 غرائب القرآن للنيسابوري (6/ 113)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (8/ 73)
2 جامع البيان للطبري (18/ 253)
3 جامع البيان للطبري (18/ 253)

أن موسى عليه السلام رسول الله، ولكنه بيّن بلسانه أنه ما علم لقومه من إله غيره، فأمر هامان أن يطبخ له آجرّا، وأن يبني له قصرًا، ففعل ذلك، وبنى له صرحًا عاليًا[1]

ولم يكتفِ فرعون بذلك، بل استكبر استكبارًا عظيمًا هو وجنوده في شتى بقاع الأرض التي يحكمونها عن ظلم كبير منهم، وإن هذا الكبر صرفهم عن التدبّر في عبادة الله سبحانه وتعالى؛ إذ إنهم ظنّوا أنهم لن يرجعوا إلى الله سبحانه وتعالى، فلم يتدبّروا هذه اللحظات التي سيورد إليها الكل ملكًا كان أو جنديًّا.

وقد وردت آيةٌ أخرى تبيّن صرف الله سبحانه وتعالى المتكبرين عن التدبر في آيات الله سبحانه وتعالى، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦ ﴾

الأعراف: ١٤٦

أي: سأصرفهم أن يتفكّروا في آياتي، وسأمنع قلوبهم من التفكير في أمري؛ إذ إنهم إن يروا الآيات الدالة على صدق النبوة لا يؤمنوا بها، وإن يروا الحق لا يتبعوه، وكذلك إن يروا الباطل يتبعوه، ذلك بأنهم كذبوا بآيات الله سبحانه وتعالى، وغفلوا عن هذه الآيات[2]

رابعًا: ارتكاب المعاصي:

قد ورد ذلك واضحًا في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ

1 تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (3/ 326)
2 تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (5/ 1567)

سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٠

- ١٣٦ هذه الآيات وما قبلها تبيّن مدى غرق فرعون وقومه بالمعاصي الكفرية، من جميع جوانبها، فقد بيّنت الآيات السابقة قصة موسى عليه السلام مع قومه من بني إسرائيل، حيث إنه بعد إيمان السحرة الذين شاهدوا المعجزات برب العالمين سبحانه وتعالى، فأيقنوا بنبوته عليه السلام؛ إذ بالنبي موسى عليه السلام يجتهد في إحالة هؤلاء المؤمنين من بني إسرائيل على الله سبحانه وتعالى حاثًّا إياهم على رجوعهم إليه، وتوكلهم عليه، وتعرّضهم لنفحات يسره، فإنه سبحانه وتعالى حكم لأهل الصبر بجميل العقبى، فكان رد هؤلاء المؤمنين من بني إسرائيل، بأنهم توالت عليهم البلايا، ففي حالك يا موسى عليه السلام بلاء، وقبلك شقاء، فما الفضل؟ فأجابهم موسى عليه السلام بما علّق رجاءهم بكشف البلاء، فقال: عسى ربكم أن يهلك عدوّكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون[1]

وتبيّن هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يأخذ آل فرعون المكذّبين ببعض العذابات الدنيا، منها الجدوب لأهل البوادي، والنقص من الثمرات لأهل القرى، وصرّف الله

1 لطائف الإشارات للقشيري (1/ 559)

ﷻ الآيات وبيّنها لهم من كل نوع؛ لعلهم يتعظون ويتدبّرون بعقولهم وقلوبهم؛ كي يرجعوا إلى ربهم ﷻ، لكنهم ردّوا على هذا البلاء بأنهم إذا جاءتهم سعة الرزق والخصب قالوا: إن هذا هو استحقاقنا على العادة التي جرت لنا من النعمة، فينسون بذلك أنه من الله ﷻ، ومن ثمّ لا يشكرونه على نعمه، وإن يصبهم قحط وجدب يتشاءموا بنبيهم موسى عليه السلام وقومه، ويقولون: إنما أصابنا هذا الشر بشؤمهم، فيرد الله ﷻ عليهم بقوله: ألا إنما شؤمهم جاء بكفرهم بالله ﷻ، ولكنهم أكثرهم لا يعلمون أن الذي أصابهم من الله ﷻ، ولم يكتفِ هؤلاء القوم الكافرون بذلك؛ بل قالوا: مهما تأتنا به يا موسى عليه السلام من آية معجزة لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين، فأرسل الله ﷻ في سبعة أيام الطوفان والجراد والقمّل والضفادع فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين، ولكنهم لما وقع عليهم ذلك العذاب، إذ بهم يدعون موسى عليه السلام لأن يدعو الله ﷻ بما أوصاه به، وهم يظنون أنهم يمنّون على نبيهم موسى عليه السلام، بأنهم إن كشف الله ﷻ عنهم هذا العذاب يؤمنوا لموسى عليه السلام، وسيرسلون بني إسرائيل من المؤمنين الضعاف إلى موسى عليه السلام، فلمّا كشف عنهم العذاب إلى الأجل الذي غرّقهم فيه، إذا هم ينقضون العهد، ولا يوفون، فكان لابدّ من الانتقام باستئصال شأفتهم، فسلب الله ﷻ نعمتهم بالعذاب، وأغرقهم في البحر، جزاء تكذيبهم وعدم اعتبارهم بآيات الله ﷻ، وتفكّرهم بقلوبهم وعقولهم؛ حيث إنهم لم يتوجّهوا إلى الله ﷻ بالصدق، ولم يتذكّروا الله ﷻ[1]

1 الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي ص 409 - 410

خامسًا: زيغ القلوب:

وقد ورد ذلك واضحًا في قوله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ آل عمران: ٧

حيث بيّنت هذه الآية ذينكما النوعين اللذين يختصان بالقرآن الكريم، ومعلومٌ أن القرآن الكريم كله محكمٌ إحكامًا عامًّا؛ لقوله ﷻ: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ هود: ١، كما أن القرآن الكريم كله متشابهٌ؛ إذ إنه يشبه بعضه بعضًا في الإحكام والإتقان، قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزمر: ٢٣، إلا أن هذه الآية التي هي شاهد هذا العنوان تبيّن أن الإحكام المقصود هنا والتشابه، هو ذانكما الإحكام والتشابه الخاصان[1]

فأما المحكم الخاص هنا فهو بمعنى: الإحكام والإتقان والمنع عمّا لا ينبغي؛ بمعنى: أنه ما لا يحتمل التأويل ولا التخصيص ولا النسخ ولا التدرج، ويكون معناه واضحًا وضوحًا قويًّا، وأما المتشابه فقد اختلف العلماء فيه، وليس هذا العنوان هو مقام عرض الخلاف، ولكن يكفي القول بأن المتشابه هو ما استأثر الله ﷻ بعلمه، وعلى هذا فإن معنى الآية، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه

1 مفاتيح الغيب للرازي (7/ 137 – 138)، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (3/ 3)

ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، أي: طلبًا منهم لفتنة الناس في دينهم، والتلبيس عليهم، وإفساد ذات بينهم، وابتغاء تأويله، أي: طلبًا لتأويله على الوجه الذي يريدونه ويوافق مذاهبهم الفاسد"[1]

سادسًا: التعصب والتقليد:

وقد ورد ذلك واضحًا في آيات، منها: قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ البقرة: ١٧٠

حيث إن هذه الآية تأتي في سياق الحديث عن كفار قريش، فتبيّن أن الله ﷻ ذمّهم بأنهم أبطلوا ما خص الله ﷻ به الإنسان من الفكر والرويّة، وركزه فيه من المعارف، وذلك أن الله ﷻ ميّز الإنسان بالفكر؛ ليعرف به الخير من الشر في الاعتقاد، والصدق من الكذب في المقال، والجميل من القبيح في الفعال[2]، فحال الكافرين إذا قيل لهم –من قبل الرسول ﷺ وصحابته الكرام ﷺ–: اتّبعوا ما أنزل الله ﷻ من القرآن، وما شرعت به السنة النبوية، يقولون: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا؛ فهم كانوا أفضل وأعلم منا، ثم تأتي الفاصلة القرآنية في هذه الآية لتبيّن في تساؤل غرضه التوبيخ، كيف يتبعون آباءهم، وآباؤهم لا يعقلون شيئًا، فهم كانوا جهّالًا لا يعرفون شيئًا من أمور الدين، ولا يهتدون لاتباع محمد ﷺ؛ لعدم تعقّلهم[3]

وقال ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٨

1 فتح القدير للشوكاني (1/ 361)
2 تفسير الراغب الأصفهاني (1/ 367)
3 معالم التنزيل، للبغوي (1/ 198 – 199)

فقد بيّنت الآيات السابقة حال الكافرين من الاستكبار والعلو والبعد عن الطاعة، والإدبار عن التفكّر في آيات الله ﷻ، وتأتي هذه الآية الكريمة لتبيّن في تساؤل غرضه التوبيخ، وذلك بما جاء في قول الله ﷻ: أفلم يتدبّروا هذا القرآن الذي خوطبوا به، بل جاءهم ما لا عهد لآبائهم به، ولذلك أنكروه وتركوا التدبر به[1]

سابعًا: تعطيل أدوات التدبر:

ويشهد لذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ الأعراف: ١٧٩

حيث إن الكفار بعدما وصلوا من ضلال وإضلال؛ إذ بأدوات التدبر عندهم من قلب وعين وأذن تتعطل عن الاستجابة إلى الهدى؛ حتى وصموا بالأنعام، بل هم أضل، وأنهم هم الغافلون[2]

1 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (12/ 139)
2 تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (2/ 154)

قال الخازن: "إن الله ﷻ ونفذ أمره أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين وبشيراً للمؤمنين ونذيراً للمخالفين أكمل به بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة، وأتم به مكارم الأخلاق، ونشر فضله في الآفاق وأنزل عليه نوراً هدى به من الضلالة، وأنقذ به من الجهالة، وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه وبالخسران لمن أعرض عنه بعد ما سمعه عجز الخلائق عن معارضته حين تحداهم على أن يأتوا بسورة من مثله في مقابلته، ثم سهل على عباده المؤمنين مع إعجازه تلاوته ويسر على الألسن قراءته أمر فيه وزجر وبشر وأنذر وذكر المواعظ ليتذكر، وضرب فيه الأمثال ليتدبر، وقص فيه من أخبار الماضين ليعتبر ودل فيه على آيات التوحيد ليتفكر، ثم لم يرضَ منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده ولا بإقامة كلماته دون العمل بمحكماته ولا بتلاوته دون تدبر آياته في قراءته ولا بدراسته دون تعلم حقائقه وتفهم دقائقه ولا حصول لهذه المقاصد منه إلّا بدراية تفسيره وأحكامه ومعرفة حلاله وحرامه وأسباب نزوله وأقسامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه في خاصه وعامه، فإنه أرسخ العلوم أصلاً وأسبغها فرعاً وفصلاً وأكرمها نتاجاً وأنورها سراجاً فلا شرف إلّا وهو السبيل إليه ولا خير إلّا وهو الدال عليه"[1]

1 لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (1/ 3)

قال الطبري: "إن من جسيم ما خص الله ﷻ به أمة نبينا محمد ﷺ من الفضيلة، وشرفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة، وحباهم به من الكرامة السنية، حفظه ما حفظ جل ذكره وتقدست أسماؤه عليهم من وحيه وتنزيله، الذي جعله على حقيقة نبوة نبيهم ﷺ دلالة، وعلى ما خصه به من الكرامة علامة واضحة، وحجة بالغة، أبانه به من كل كاذب ومفتر، وفصل به بينهم وبين كل جاحد وملحد، وفرق به بينهم وبين كل كافر ومشرك، الذي لو اجتمع جميع من بين أقطارها، من جنها وإنسها، وصغيرها وكبيرها، على أن يأتوا بسورة من مثله، لم يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، فجعله لهم في دجى الظلم نوراً ساطعاً، وفي سدف الشبه شهاباً لامعاً، وفي مضلة المسالك دليلاً هادياً، وإلى سبل النجاة والحق حادياً، ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ المائدة: ١٦، حرسه بعين منه لا تنام، وحاطه بركن منه لا يضام، لا تهي على الأيام دعائمه، ولا تبيد على طول الأزمان معالمه، ولا يجور عن قصد المحجة تابعه، ولا يضل عن سبل الهدى مصاحبه، من اتبعه فاز وهدى، ومن حاد عنه ضل وغوى، فهو موئلهم الذي إليه عند الاختلاف يئلون، ومعقلهم الذي إليه في النوازل يعتقلون، وحصنهم الذي به من وساوس الشيطان يتحصنون، وحكمة ربهم ﷻ التي إليها يحتكمون، وفصل قضائه بينهم الذي إليه ينتهون، وعن الرضا به يصدرون، وحبله الذي بالتمسك به من الهلكة يعتصمون، اللهم فوفقنا لإصابة صواب القول في محكمه ومتشابهه، وحلاله وحرامه، وعامه وخاصه، ومجمله ومفسره،

وناسخه ومنسوخه، وظاهره وباطنه، وتأويل آيه، وتفسير مشكله، وألهمنا التمسك به، والاعتصام بمحكمه، والثبات على التسليم لمتشابهه، وأوزعنا الشكر على ما أنعمت به علينا من حفظه، والعلم بحدوده، إنك سميع الدعاء، قريب الإجابة.

اعلموا عباد الله، رحمكم الله، أن أحق ما صرفت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية، ما كان لله ﷻ في العلم به رضا، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وأن أجمع ذلك لباغيه، كتاب الله ﷻ الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذخر وسنى الأجر تاليه، ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: ٤٢"[1]

1 جامع البيان للطبري (1/ 5 – 7)

نهاية المطاف لهذا الكتاب

يعتبر القرآن الكريم كنزاً لا يقدر بثمن، حيث يمدنا بالهداية والمعرفة، ويظهر فيه جمال اللغة وعمق المعاني، وكطلاب، نتعلم منه الكثير ليس فقط في الجوانب الدينية، بل وفي الحياة العملية والأخلاقية، ويساعدنا في تقوية شخصياتنا وتنمية قدراتنا العقلية والروحية، ومن المهم أن نستمر في تعلم وتعليم القرآن الكريم للأجيال القادمة، حيث يعتبر ذلك جزءاً من مسؤوليتنا تجاه هذا الكتاب العظيم، وبهذا نكون قد أدينا حقه في تعلمه وتطبيقه ونشر تعاليمه، كما وسيبقى هذا القرآن الكريم العظيم في شأنه منهاج وشريعة حياتنا ونور طريقنا، والهادي إلى طريق الحق والرشاد.

نسأل الله ﷻ القبول والإخلاص وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم نلقاه

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى وسلم على نبينا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين

كتبه

محمود حسن حجازي

أبو حازم

قائمة المحتويات

العنوان	الصفحة
الإهداء	5
القرآن منهاج حياتنا	6
البداية	7
تعريف القرآن والفرق بينه وبين الأحاديث القدسية	13
أهمية القرآن وفضله	19
أسماء وصفات وآداب القرآن	32
قراءة القرآن وواجبنا نحوه	49
خصائص القرآن	71
جمع وتدوين القرآن وكيفية التعامل معه	119
تدبر القرآن	141
نهاية المطاف لهذا الكتاب	216
قائمة المحتويات	217

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القرآن منهاج حياتنا